صلاة العشق

© حُقُوقُ الطَّبْعِ مَحْفُوظَةٌ

اسم الكتـــاب: صلاة العشق

تـأليـــــــف: أماني الوزير

تدقيق لغوي: إسراء جمال

تصميم داخلي: سالم عبدالمعز سواح

النـاشـــــــر: دار الزيات للنشر والتوزيع

القـطـــــع: 21X14

سنـة النشـر: 2025

تم الإيداع بدار الكتب والوثائق المصرية برقم: 30550 / 2025

الترقيم الدولي (ISBN): 978 - 977 - 844 - 676 - 0

دار الزيات للنشر والتوزيع

المشهرة قانونًا بسجل تجاري رقم/ ٤٩٣٥١

ت: ٠١٠٦٦٧٣٦٧٦٥ - ٠١٠١٥٧٦٦٠١٤ / shahnda71@gmail.com

ISBN 978-977-844-676-0

صلاة العشق

تأليف

أماني الوزير

إهداء

إلى من أحبَّني كما يُحبّ الضوءُ مسراه في العتمة، فأيقظ فيّ ما خمد من نبض، وما ذبل من حلم.

إلى الحضور الذي لا يغيب، يمرّ بي كنسمةٍ تعرف الطريق إلى قلبي دون أن أُناديها.

إلى روحٍ ما زالت تفتح لي باب الصباح كلّما ضاق الليل،

تربّت على روحي من بعيد، وتهمس لي: انهضي، فما خُلقتِ إلا لقصائد من نور.

إليك... يا من علمتني أن الحبّ ليس قيدًا، بل جناحٌ يعلو بي إلى الله.

وإلى الحرية التي تشبهك، كلّما لمستها... شعرت أني أعود إليّ.

لأجلك،

صار الحرفُ صلاةً،

وأصبح الوجعُ طقسًا من طقوس العشق،

وأضحت كلّ قصيدةٍ... سجدةَ قلب.

مقدمة

هُنا..

في رأسي، حَدث لي كُلُّ شيء.

هُنا تعطَّلتُ عن الكتابة، وأفرطتُ في إدمانها.

هُنا مَرِضتُ، وشُفيتُ، وعَشِقتُ، وضاجعتُ عشرات الرجال، وصببتُ اللعنةَ على العالم.

هُنا، تجسَّستُ على دواخلكم، ورأيتُ هواجسكم، وتابعتُ سُرعةَ انتصابِ أنصافكم السفلية، وضَحِكتُ بميوعةٍ فائقة.

هُنا، سافرتُ إلى مارسين، وتجوَّلتُ عاريةً في فيينا، وصنعتُ ثورةً شرسةً في فيتنام، واختفيت.

هُنا تَحرّشتُ بكم، وثأرتُ منكم، وشفيتُ غِلّي من ثعابينِ أفكاركم، ولعبتُ دورَ الضحية.

هُنا أيضًا، شربتُ زجاجاتٍ من "الستيلا" و"الواين"، وجلستُ كأفعى في باراتِ تكساس، ولعبتُ النردَ على طاولاتِ القمارِ في نيويورك، وربحتُ ثروةً من الأرانبِ الخضراء، أودعتُ نصفها في بنوكِ سويسرا، ونصفَها الآخَر خصَّصتُه لترميمِ الجدرانِ والنوافذِ والأثاثِ العتيق ذي الأخشابِ المنزوعةِ عنوةً من مُمارسي الانتظاراتِ الطويلة التي أثمرت انهزاماتٍ سحيقة.

هُنا...

التقطتُ صورًا مع أصدقاءَ لم ألتقِهم، وتحدَّثتُ مع شخوص لم أُصادفهم، وحَلِمتُ بأشياءَ معيبة، وأشياءَ كانت بريئةً جدًّا.

هُنا، انتهت القهوةُ من مطبخي السِّري، وعزفتُ عن سماعِ ليونارد كوهين، وشتمتُ لوركا، ولعنتُ دوستويفسكي، وقتلتُ فيرجينيا وولف مرَّاتٍ عديدة، وترحَّمتُ على بن لادن، وتمنَّيتُ أن أكون نورانية.

هُنا، في رأسي الذي تعمُّه الفوضى، أُصبتُ بسكتةٍ سرديَّة، كيلا تفضحني تلك اليدُ السريَّة التي تلبّستْ رأسي كعِفريت، حتى باتتْ جمجمتِي فارغة إلَّا من جِنيَّة أسراري التي أحرقتْ عِفريتَ اليد، وفكَّت قيدَ قلمي، ونثرتْ عطرًا من صنوبرٍ أنثوي، وانتصرتْ لي.. على سَكتتي العاطفية.

الباب الأول

مدينة تمشي على كعبٍ عال

هنا..
نساءٌ يُشهِنَ المدنَ،
لهنَّ مذاقُ القهوةِ والنّبيذ
ورائحةُ الأرجيلةِ والوَرد،
نساءٌ من ذكرياتٍ، وذِكرَاهُنَّ سحابةٌ ماطِرة،
عِطرُهُنَّ وَردٌ ونسائمُ بَحر،
حكايتُهُنَّ موسيقى
ودندنةٌ، وأغاني.
ضحكاتُهُنَّ بُيوت، ودموعُهُنَّ صلاةٌ وقِبلةُ رُوح.

كلُّ واحدةٍ منهنّ
مدينةٌ تمشي على كعبٍ عالٍ.

مدينة تمشي على كعبٍ عالٍ

هي ليستْ مجرّدَ اسمٍ،
هي لحنٌ من أزقَّة المدينة،
من حيثُ خُلِق الهوى وابتُكِرَ الدلال،
من نَسغِ القصائد،
ومن غيمةٍ عطشى تَشكّلتْ امرأةٌ..

عطرُها سكرانُ بالتراب،
وحفيفُ عبائتها يكسِرُ صمتَ الليل،
كأنّها روايةٌ كتبتْها خُطواتُها على بلاطِ الشوارع، ولم تُقرأْ بعدُ.
عيناها، مرآةُ البائعِ في سوقِ الخميس، تحكي قصصًا لا تجرؤُ الشفاهُ على سردِها.
ضحكتُها رصاصةٌ ناريةٌ تنكسرُ على جدرانِ الذاكرة،
لا تُنسيها الريحُ، ولا المطر.
تمشي، والعباءةُ تسحبُها،
كما لو أنَّ الأرضَ تخشى أنْ تفقدَها،
وبكلِّ حركةٍ، تكتبُ قصيدةً عن امرأةٍ لا تُقهَر.
بشفتينِ تجمعانِ بين مرارةِ القهوةِ وسكّرِ البقلاوة،
وعينينِ تُشبهانِ الليالي التي لا تذوبُ إلّا عندَ الفجر.

لا تحتاجُ إلى إذنٍ لتكون،
ولا تستأذنُ أحدًا كي تُحبَّ أو تكره.

صلاة العشق

هي القصّةُ التي لا تُروى،
والشمسُ التي لا تغيب،
والسرُّ الذي يلفُّ المدينةَ بألوانِه في الغروب.

لا تسمعُ إلَّا قلبها،
حتى وإنْ صمتتْ،
يحكي سكونُها أشياءَ أكثرَ من أيِّ صوت.

ليست مجرد امرأة

هي لحنٌ من أزقَّة المدينة، عطرها سكران بالتراب، وحفيف عباءتها يكسر صمت الليل.
كأنها رواية كتبتها خطواتها على بلاط الشوارع، ولم تُقرأ بعد.
عيناها، مرآة البائع في سوق الخميس، تحكي قصصًا لا تجرؤ الشفاه على سردها.
وضحكتها...
رصاصة لا تنكسر في الذاكرة، ولا تُنسى، بل تتكاثر في وجه الريح والمطر،
كالمرايا في مخيلة العابد

تمشي، والعباءة تتبعها، كأن الأرض تتشبث بها خوفًا من أن تفقدها.
في كل خطوة، تكتب قصيدة عن امرأة لا تُقهر،
بشفتين تجمعان بين مرارة القهوة وسكر البقلاوة.

لا تحتاج إلى إذن لتكون،
ولا تستأذن أحدًا كي تُحب أو تكره.

هي القصة التي لا تُحكى إلا في صباحات التعب، ليشفى المرء من وجعه،
والشمس التي لا تغيب إلا في عناق الغيم،
والسر الذي يلف المدينة بألوان البرتقال في الغروب الحميم..

لا تخشى الانهيار، بل تُدرِّبُ الأرض على الثبات،
ولا تسمع إلا قلبها،
وإن صمتت،
يحكي سكونها مواويل وحكايات
مُحلَّاة بفتنة ضحكة ودندنات همس.

امرأة من الحيّ الشعبيّ

في الحيّ الشعبيّ الَّذي يُشبِهُ عشوائيَّاتِ النبضِ المُضطرب،
تبدأُ قصَّتُها مع قُبلةٍ أولى
تُشعلُ في الرُّوحِ نيرانًا بعدَ صيامِ أعوامٍ منَ الصَّمتِ.

تنسكِبُ كاللهفة في طيّ الليل،
كأسَ خمرٍ ناعمٍ يقطُرُ دفئًا في الصُّدور،
نَهَنَهةٌ خفيفةُ الظِّلّ تخرجُ من شفتيها،
تتبعُها ضَحكةٌ ماجنةٌ ذاتُ صدىً يملأُ الأزقَّة،
يُعلِنُ عن ميلادِ قصَّة وسطَ جُدرانِ البيوتِ العتيقة.

تَمشِي كأنَّها تَرسُمُ أثرَها على جفنِ الليل،
تُدَندِنُ لحنَ العندليبِ بصوتٍ يُلامِسُ القلب:
الحلوة، الحلوة الحلوة الحلوة"
"شَغَلَتني بعينها السّودا الحلوة
كأنّها سِرٌّ من أسرارِ البحر، لا يُباحُ بهِ إلَّا للغوَّاصين.

أقدامُها ترقُصُ على حِجارةِ الشَّوارع،
تُخفِي في عَباءتِها أسرارًا وأمانِيَ كبيرة،
صوتُها كهمساتِ الرّيح، يُخبِرُ كلَّ دَربٍ بقدومِها،
والجيرانُ من شَبابيكِهم يُراقبونَ بعينِ الفضول

صلاة العشق

قِصّةَ عشقٍ تُكتَبُ بينَ القهوةِ والشُّموعِ، وظلالٍ لأجسادٍ مجهولةِ الهُويَّةِ تَرقُصُ بخِفَّةٍ خلفَ المَشربية.

في مَقهى الحَيِّ المُجاورِ لشُرفتِها، يجلِسُ رِجالُ السَّهر،
يرتشفونَ قَهوَتَهم بينَ رُقَعِ الشّطرنجِ وأصابعِ الطَّاولة،
عِطرُها بينَ ظِلالِهم يملأُ المكان،
يَسرِقُهم من صَمتِهم الطَّويل،
يُذيبُ جليدَ السُّكونِ بحركةٍ بسيطةٍ من يدِها حينَ تَدُقُّ كَفُّها أبوابَ البيوت.

تَمشِي بينَ الجُدرانِ القديمة،
تضحكُ، تُزغردُ، تتعالى دَندَناتُها بأغاني العندليب،
تَملأُ اللّيلَ بأصواتِها،
تَسحَبُ الجميعَ من عَتمةِ الحزن،
وتزرَعُ أملًا جديدًا في عُروقِ المدينة.

هذه هي... امرأةُ الحيّ،
تَعيشُ، تُحِبُّ، تَسقُطُ، تَقوم،
تُحاربُ الظَّلامَ بابتسامةٍ،
وتَكتُبُ حياتَها على جُدرانِ الزَّمن.

أطلالُ امرأةٍ في قلبِ القاهِرةِ

دخلتُ ميدانَ التَّحريرِ كأنَّني أعودُ إلى نَفسي،
كأنَّ القاهِرةَ كانتْ تنتظرُني تحديدًا هذا المساء!
تُعَدِّلُ شَعرَها المُبعثَرَ في مرآةِ الزِّحام،
وتُشعِلُ قِنديلًا من زفيرِ السَّياراتِ لأجلِ غُربتي.

أنا الَّتي جئتُ أبحثُ عن ظلِّي في المدينة،
ظلٍّ يُشبِهُني، لكنَّهُ يمشي بثقةٍ لا أملكُها.

وَقَفْتُ أمامَ الأسود على كوبري قصرِ النِّيل،
كأنَّها تعرفُني!
كأنَّها تُومِئُ لي:
«مرحبًا، كم تأخَّرتِ!»
هل يمكنُ لمدينةٍ أن تُعاتبَكِ بهذهِ الرِّقَّة؟

كانَ المارَّةُ يمشونَ بسرعاتٍ مختلفة،
لكنَّ خُطواتي كانتْ خفيفةً كأنَّني أطفو.
مَرّتْ بي امرأةٌ تُمسِكُ يدَ رجلٍ يضحكُ من قلبِهِ،
لَمَحْتُ ظلالَهُم تتشابكُ على الأرض.
قُلتُ في نفسي:
«ربَّما كانتْ هذه أنا... في زمنٍ آخر».

على الكافيه المُطلِّ على النِّيل،
جَلَسْتُ في الزاويةِ التي أراها دومًا في مخيلتي،
طَلَبْتُ قهوةً سادة،
فجاءني النادلُ بصوتٍ ناعمٍ، كأنَّني أعرفُه:
«حاجة تانيَة يا هانِم؟»
هَزَزْتُ رأسي بابتسامةِ تعب،
فقال:
«القاهرة بترُوق وقت المغرب... لو قعدتي شوية، هتحبِّيها».
قُلتُ له بهدوءٍ:
«أنا جيت أحبَّها... أو أفتكرني بحبَّها».

كانتِ المراكبُ تتمايلُ في النِّيلِ كأنَّها ترقُص،
وشَفَتايَ تتحرَّكانِ دون صوتٍ بكلماتِ أُغنيةٍ، يخرج صداها من الراديو،
تحكي كلَّ ما أشعرُ به.
الست قالت:
«كنتُ بشتاقلك وأنا وأنتَ هنا
بيني وبينك خطوتين... خطوتين،
شوف بقينا إزاي
أنا فين يا حبيبي وأنت فين».
لا تعرف صاحبةُ المقطعِ المنشود أنَّ ما بيني وبينك
عمرٌ من الحبِّ والحزن.
ظهرَ المركبُ،

شِراعٌ أبيضُ يتمزَّق قليلًا على الأطراف،
ورجلٌ من الجنوب،
أسمرُ كالأرضِ والقمح،
يُغني شيئًا يُشبهُ وجعي،
يُشبهُ أبي حينَ كان يشدو وهو يُصلحُ شيئًا مكسورًا.
لوَّحَ لي، أو ربَّما لوَّحَ للرّيح،
لكنِّي صدَّقتُ أنَّه يُراني.
قُمْتُ كمن يسيرُ نحو وَعدٍ قديم،
وَقَفْتُ على حافةِ النّيل،
الهواءُ يحملُ رائحةَ خُبزٍ، ورمادٍ، وشيئًا من الحزنِ والحنين.
قُلتُ له دون صوتٍ:
«أنا من هنا... حتَّى وإنْ أنكرني العابرون».

جئتُ أبحثُ عن رائحةِ الرَّجلِ الَّذي أحببتُ في ظِلالِ المدينةِ الأُم،
أبحثُ عن ظلِّه،
عن هَمسِ ضِحكتهِ على طاولةٍ في موعدٍ مُؤجَّل،
عن شهوةِ الأصابعِ لحظةَ العِناقِ الأوَّلِ بعدَ السُّؤال:
ماذا لو كُنّا التقينا تحت عباءةِ الليلِ والنَّدى، وقليلٍ من عطرِ الفلّ والياسمين،»
.«في شوارعِ المعادي، وحاراتِ خان الخليلي، ومِيدانِ القلعة؟

القاهرة
حين يدخلُها الليلُ
تُطفئُ أنوارَها وتتركُنا وحدَنا،
لكنَّها لا تتركُنا حقًّا.
هي تتوارى لتسمعَ أسرارَنا،
لِتحتفظَ بها،
وتُعيدَها لنا في الحُلم...
على هيئةِ ضوءٍ، أو بيتِ شعرٍ، أو غنوةٍ بعيدة.

شيئًا فشيئًا...بدأَ كلُّ شيءٍ يهدأ،
تتحوَّلُ الزحمةُ إلى رِقَّةٍ،
تتحوَّلُ الأصواتُ إلى موسيقى،
تتحوَّلُ القاهرةُ إلى أنثى تهمسُ لمن يحبُّها
بأنها هنا،
وأنها ما زالت قادرةً على الحبِّ.

كانت رائحةُ الرجلِ الذي أحببتُ
تسبقني إلى المقعدِ،
تجاورني في القهوةِ،
تركبُ قبلي المركبَ،
وتحفظُ صوتَ المراكبيّ عن ظهرِ قلب.
كان وجهُه... هو كلُّ المدينة.

سيدة الزقاق

أنا تلك التي وُلدت على رصيفٍ مشقَّق،
تعلَّمتُ المشي بين شقوقه كمن تتعلَّمُ الرقص على نارٍ هادئة.
لم يكن في حينا قصرٌ ولا حديقة،
لكننا نزرع على سطوحنا النعناع،
ونُخفي الفرح في "طاجن فُول" وعيونٍ لا تنام.

أنا بنتُ الزقاق،
حكاياتي تُروى على عتبات البيوت،
وصوتي... يُوقظ النوايا من غفوتها.

أعرفُ السوق حين يغضب،
وأعرفُ كيف تُهدَّأ الجارة بكلمة سُكَّر،
وأُجيدُ التفاوض مع الحياة
بكعبٍ عالٍ وظهرٍ لا ينحني.

أضع الكحلَ بإصبع الذكرى،
وأربط شعري بمنديلٍ ورثتُه عن أمّي،
وأحمل الحقيبة كمن تُخبّئ بها الوطن،
والخبز،
والأمل.

في مطبخي،
رائحة الزعتر تُعانق الكمُّون،
وقهوتي تفور على صوت الستّ التي تُغنِّي من شُبّاكٍ مُطلٍّ على الحنين.

أنا التي يقولون عنها "صعبة،"
وأنا التي تبكي في صمتٍ إذا فُقِدت المروءة.

إن ضحكتُ... سُمِع صوتي من أول الزقاق لآخره،
وإن غضبتُ... ارتبك الهواء بين الجدران.

لستُ ناعمةً كأحلام المدن،
لكنني حقيقيةٌ كصوت المقلاة حين يغلي الزيت،
وأنيقةٌ... كأوّل كوب شاي عند الفجر.

أنا سيدةُ الزقاق،
وحين أمرُّ
تتدلّى القناديل خجلًا،
ويُصلِّي الظلُّ ألا أتجاهله.

حين تُشبهُنا الأماكن... باريس

باريس
تُشبهني في الخريف،
جميلة، مُتعبة، تُخفي الدموعَ تحت المساحيق،
وتُواري سوءَةَ حزنها بزخَّةِ عطر.

في كلِّ شارعٍ منها، كنتُ أبحث عنكَ، عن ظلِّك.
في كلِّ مقهىً، كنتُ أَنتظر شيئًا منك،
شيئًا يُشبه العناقَ، نظرةً، صُدفةً، رسالةً...
أو حتى أُغنيةً تُشبه صوتكَ، وتُشبهك.

جلستُ ذات مساءٍ عند نافذةٍ تُطِلُّ على
Pont Neuf
أُراقب العُشّاقَ يتبادلون الهَمسَ والقُبُلات،
بينما كنتُ أُكرِّر في رأسي كلماتِك الباهتة.
التي بتُّ أحفظها عن ظهر حُزن.

يَقتحم صوت
Slimani
جرحي المفتوح،

يَضع عليه الملحَ ببضع كلماتٍ في أُغنية:

"Si tout s'arrêtait demain... le remarquerais-tu?"

."لو توقَّف كلّ شيءٍ غدًا... هل كنتَ ستُلاحظ؟"

يا للسخريةِ حين تبدو جليَّةً في ابتسامة!
أعرفُ أنَّكَ... لن تُلاحظ،
لن ينقصَ من يومِكَ شيء،
لن يُغيّرَكَ رحيلي،
ولن تُلاحق ظلّي في المرايا.

كلُّ هذا كان كافيًا،
يكفي لأجمعَ ما تبقَّى منّي،
وأمضي، دون خوف، دون أن أتركَ خلفيَ أثرًا
يكفي لأفهم أننا لم نكن على الوِجهة ذاتِها.
كنتُ أعرف، لكنّي تجاهلت...
وأنَّكَ، حتى وإن كنتَ يومًا لي،
-ستبقى- نِصفي المفقودَ الذي لا يعود.

لهذا، كتبتُ النهاية
بخطٍّ واضحٍ على حائطِ القلب،
"بصوتي "أنا"... لا بصوتِك "أنت
كم أصبحنا بعيدين — أنا وأنت —.

بعد كلِّ ذلك الصخب،
أدرتُ ظهري للمرايا،
للخطِّ المُتعرِّج على كفَّي،
لانحناءةِ ضلعي واتِّكائه على ظلِّك.

هذه المرَّة، لن أُعيركَ صوتي وهو يئنُّ مُشتاقًا،
ولا ارتجافةَ لهفتي عند العناقِ الأوَّل بعد الخصام.

أنا... التي قرَّرت أن ترحل أخيرًا.
أنا... التي تركت قلبَها على أرصفةِ باريس،
لكنَّها أخذت كرامتها في الحقيبة.

"كان الأذى الذي ظننته"
همستْ بها في أذنِ القلب،
حتى غابت في الزحام... وغاب معها ظلُّها ورائحةُ العطر.

قبلة في حي فكتوريا

على الجميع أن يروا أنفسهم جميلين،

بالطريقة ذاتها التي ترقص بها فتاة على شاشة العقل في مخيلة رجل لا يجيد مداعبة النساء.

على المارة والعابرين أيضًا أن يلتقطوا أنفاسهم قبل أن تدهسهم دهشة عاجلة، من الجسد المريمي ذاته المذكور أعلاه، في مبوبة إلكترونية أو عبر نافذة رخيصة من نوافذ السوشيال ميديا.

أعترف؛

كانت فاكهتي مستحيلة، لم تطأ أصابع أحدهم موطأ شفتي حتى الآن،

ولم يسترق النظر الى الدرب العاجي بين جبلين من زمرد إلا الرجل الذي خبأته في قلبي، ونزعت له كل ما يستر لهفتي ذات مساءٍ غليظ اللهفة.

بالحدث ذاته؛

كُنت أسير بميوعةٍ في مساء خميسي لطيف بحي فيكتوريا،

كانت الأرصفة تعُج بالعابرين،

على الجانبِ الأيسر من الرصيف البحري مجموعةُ شباب يافعين في منتصف عقدهم الثالث يحملون جيتارًا يضربون على أوتاره ألحانًا ليست ثقيلة على الذاكرةِ.

تَسللتُ بينهم، وجلسْت بروية قرب أصابع عازف الجيتار،

وبلهفة دافئة غير مقصودة لمس كتفه كتفي فحظيت بالتفاتة منه دون أن أنتبه.

تراقصت على اللحن بثباتٍ هش،

كانت "شوربة الرصاص" دافقة المعنى،

تستقر في العمق القصي بجمجمتك؛ حد أن نسبة الأدرينالين قد تصل ذروتها.

يتشرَّبك اللحن فتمتصه ذاكرتك بطريقة سلسة،

"عايزة أسمع كل ده كان ليه"،

ينظرون إلى بعضهم بعضًا بعين وَجِلة بعد أن يطلقوا العنان لابتسامات تلهث في أعماق الذاكرة بَاحثة عن أصلِ اللحن في عقده الثامن من أعمارهم القصيرة، فتنهال ضحكاتهم التي فضحت جهلهم بطقوس المشيب فيه.

"هي الأغاني القديمة بقت شتيمة ولا إيه؟ "

هكذا أردفتُ قبل أن تتمدد ضحكتي عارية بين صَخبهم الجميل...

واصلت المسير،

في أول الشارع الكبير عند الناصية المطلة على الكورنيش"فاترينا" بلافتة مضيئة وكأن قَوس قَزح يختبأ خلف واجِهتها العريضة التي تصطف فيها مانيكانات لامعة ترتدي فساتين وردية ماركة "Guess " بكافةِ تدرجاتها الأنيقة.

أعجبني ذي القبة البيضاء الشفيفة،

ابتعته بحفنة من الدولارات ولم أندم على التبذير.

أطلقت العنان لشعري حتى تدفق خلف ظهري، كأني فتحت مجرى النهر بين دجلة والفرات،

وكأن فراشة لتوها خرجت من الظلمة في أبْهى حُلة باندفاع نوراني مفاجئ يخطف الأبصار.

عُدت الى فرقةِ الجيتار،

عزفنا اللحن ذاته لـ "شوربة الرصاص".

رقصت مع الجميع إلا ذلك - الشاب الأسمر - ذي اللحية الخفيفة التي تطل من شرفة وجهه على استحياء جميل، هو فقط من حظي بقبلة خاطفة ثنائية اللهفة، بمساء خفيف الظل في إحدى شوارع حي فيكتوريا.

الباب الثاني

سكرة الجمال بين سكونين

سَكْرَةُ الجَمَالِ بَيْنَ سُكُونَيْنِ

حين يُحِبُّ اللَّيْلُ،
أنا ابنةُ اللَّيْلِ، ورَفِيقَتُه،
حين يُغْلِقُ النَّهارُ فَمَهُ ويَخْتَبِئُ، أَخْرُجُ أنا من بَيْنِ رَمَادِهِ،
أَخْلَعُ عن روحي الأقفالَ، وأَدْخُلُ إلى حُرِّيَّتي كمن يَعودُ إلى رَحِمٍ يَعرِفُهُ.

حين يُصْبِحُ السَّوَادُ نافِذَةً لا جِدارًا،
ويَغْدُو الصَّمْتُ موسيقى تُعْزَفُ في تَجاوِيفِ رُوحِي، لا على أَوْتَارٍ مُصْطَنَعَة،
أَعْرِفُ أَنَّني وُلِدْتُ لِأَعْشَقَ في الظِّلِّ، لا في الضَّوْءِ.

لا أَبْحَثُ عن الشَّغَفِ... بل أَخْلقُه،
ولا أَطْلُبُ القُبْلَةَ.. بل أَكُونُها.
كُلُّ قُبْلَةٍ مني حَرْفٌ، وكُلُّ لَمْسَةٍ من أَصَابِعي قَصِيدَة،
بَيْنَ يَدَيْهِ فقط، كُنت كِتابا يُفْتَحُ كُلَّ مَسَاءٍ ولا يُطْوَى.

عَرَفْتُ على يَدِ اللَّيْلِ أنَّ الجَسَدَ مِرْآةٌ لِلرُّوح،
وأنَّ الشَّهْوَةَ حين تَصْعَدُ، تَصِيرُ دُعَاءً،
تَصِيرُ مَقَامًا لا يُلامِسُ فيهِ الجَسَدُ الجَسَدَ، بل تُلامِسُ فيهِ الأرواحُ نَفْسَهَا.

تَعَلَّمْتُ أنَّ الشَّغَفَ لا يُفْتَعَلُ، بل يُولَدُ،
وأنَّ بَعْضَ اللِّقَاءَاتِ لَيْسَتْ لَحْظَةً، بل عُمْرًا كَامِلًا يُقَامُ في ثَانِيَة.

أنا تِلْكَ التي تَتَهَندَمُ لِحُضُورِ اللَّيْلِ كَمَا تَتَجَهَّزُ العَرُوسُ لِحَفْلِهَا،
أَتَعَطَّرُ، أَتَهَذَّبُ، أُرَتِّبُ شَهْقي كَمَا يُرَتَّبُ الشَّعْرُ في جَدَائِلِ المَطَر،
لأنني أَعْرِفُ أنَّ اللِّقَاءَ لَيْسَ جَسَدًا فَحَسْب،
بل طَقْسًا من جُنُونٍ، وشِفَاءً لا يُطْلَبُ.

في اللَّيْلِ فقط
أَدْعُوه.. لا بالاسْمِ، بل بالإِحْسَاسِ،
فَيَجِيءُ.
يَعْرِفُ مَوَاقِيتَ رَعْشَتِي، يَقْرَأُ تَنهِيدَتِي،
ويُعَلِّقُ رُوحِي على مَعَارِجِ اللَّذَّة، لا لِتُفَارِقَ، بل لِتَصْعَدَ.

لا أَكْتُبُ لأُغْرِي، بل لأُضِيءَ،
لأنَّ اللَّيْلَ يَسْتَحِقُّ،
ولأنَّ بَعْضَ الأَرْوَاحِ لا يُقَالُ مَقَامُهَا بَيْنَ دَوْزَنَةِ شَهْقَةٍ وَأَنِينٍ إِلَّا حِينَ يَسْدِلُ القَمَرُ عَبَاءَتَهُ على عَوْرَاتِ النَّهَار.

أَقِيسُ لَهْفَتِي بِسَكْرَةِ جَمَالٍ بَيْنَ سُكُونَيْنِ،
ولَذَّة في السَّلَامِ حين يُوَشَّحُ الجَسَدُ بالطُّمَأْنِينَةِ، لا بالزَّيْف،
طَيْفٌ أنا لا أُشْبِهُهُ إِلَّا اللَّيْل،
ولا أَكْتَمِلُ إِلَّا حِينَ أُحِبُّ.
شَرِهَةٌ حين أَعْشَقُ.. شَرِسَةٌ حين أَنْسَى.

***امرأة عادية ***

ثمةَ امرأةٌ عاديةٌ،
تقولُ صباحَ الخيرِ على طريقتها،
تخبزُ الحبَ منْ قمحِ أنوثتها،
تضعَ الوردَ في مزهريةٍ على مقاسِ كفيها،
أوْ تصنعُ فنجانَ قهوةٍ عاديّ بمزاجٍ صافٍ ليس عاديًّا.
ولأنَ قلبها مضطرٌ للعيشِ،
تدندنُ لحنًا تحبهُ على أوتارِ لهفتها:
"صباحَ ومسا شيَ ما بينتسىْ
تركتْ الحبَ
أخذتْ الأسى
شو بدي دور
لشو عمِ دور على غيرهِ في ناسٍ كثيرٍ لكنَ بيصيرْ ما في غيرهِ".

ثمةَ امرأةٌ عاديةٌ،
عاديةٌ جدًّا لدرجةِ أنَ نسيانها
لا يتطلبُ إلا الإصابةَ بالزهايمر.

قمح الأنوثة

في الصباح الباكر،
صنعت له رغيفًا طازجًا من قمح أنوثتي،
نبضتين دافئتين
تتوسدهما كريمة اللوز والسكر، ماركة عناقٍ هادئ خالٍ تمامًا من كوليسترول البراءة،
محشوتين بسكْرة دافئة مخفوقة على مهل مع شهدٍ خفيف القوام لحكايا الجسد.
تتوسطهما قبلة أرجوانية حارة من عنب الشغف الذي تدلت عناقيده عمدًا بين غصني الشفاه،
تم قطافه على عجل حتى لا تبرد اللهفة.
مع فنجان قهوة محلى بضحكة صاخبة وأمنيات عديدة.

***لم أعد أنا ***

كُلّما نظرتُ في المرآةِ
لم أرَ ملامحي كما اعتدتُها،
ثمةَ دفءٌ في العينِ لم يكن منّي،
ونبضٌ خافتٌ عندَ الحاجبِ الأيسر.. يشبهُ ارتباكي حين كان يبتسم.
الخلاصة، مازال أثره في دمي.

حتى يداي، لم تَعودا تُحسنان الرعشةَ وحدهما،
صارت ترجفان كلما تذكرته،
حين أفتحُ كتابًا وأجدُ فيه وردةً منسية بين الصفحات، كنت أقبلها كلما اشتقت إليه بين الكلمات.

صوتي؟
صار أبطأ، أرقَّ، كما لو أنه خرجَ من حنجرته ليسكنني فقط دون غيري.

مذاقُ قهوته لم يعُد مُرًّا،
أودعته في الملكوت فأصبح يشبهُ طعم شفاهي عندما كنت أقولُ:
"صباحكَ سُكر".

صرتُ أتركُ الأنوارَ خافتة،
أسمعُ الموسيقى كما كان يُحبّ،
أشتري الزهورَ لأضعَها في فازةٍ لا تَشربُ إلا من ذاكرتي وذكراه.

هل هو العشق رغم البُعد؟
أم أنني بتُّ أُقلِّد الحياةَ التي تمنَّيتُ أن أعيشَها معه؟

لم أعُد أنا،
ولا أريد أن أكون.
بحبّه... فبقيت شبهه لأني بحبُّه.

في مديحِ الحزنِ

كان عليكَ أن تبكي على كتفِ امرأةٍ
في صُدفةٍ ما،
أن تنتحبَ في عناقِ ظلِّها.

امرأةٌ
لم يفلت عطرُها من قميصِكَ،
ولم يفلت جسدُها من عطركَ.

امرأةٌتشبه زبَدَ البحر،
حنجرتُها رخوةٌ،
كموجةٍ على شاطئٍ مُنحرِفٍ على المتوسِّط.

شهيةٌ كحبةِ فراولةٍ في ظهيرةٍ صيفيةٍ حارَّةٍ في منتصفِ تمُّوز،
نقيةٌ كنجمةٍ قصيَّة
لم تطَلْها السماءُ بسوء.

يغارُ منها البنفسج،
إذا أحبَّها الياسمين
ومَنحَها كلَّ العطرِ في همهمةٍ دافئة.
لم ينعتقْ منها السرُّ
إلا في نبوءةٍ باردةٍ

بفنجانِ قهوةٍ.
بلغةٍ حميمةٍ تُنكرُ فيها دورَها في الدمعة،
ودورَها في المأساة.
لتحصلَ وحدكَ
على كلِّ الحزنِ طواعيةً،
لأنّ حماقةَ البكاءِ
"لا تليقُ بعينيها"
على حدِّ قولكَ.

بالحنينِ المُفرِطِ بينكما
كنصفِ نجاةٍ من حمحمةِ التوتُّر،
بتزويرِ روزنامةِ العُمرِ حتى تمرَّ الأيام،
لاستعادةِ تفاصيلَ صغيرةٍ
جمعتنا حينَ غفلة.

وأنا أعيشُ مع أشياءٍ
أُعِدَّت خصيصًا لك
دون أن أدري..
كقراءتِكَ روايةً
لا تعرفُ كاتبَها،
لأني أحببتُها فقط.
لتتبعكَ فكرةُ فيلمٍ أخبرتُكَ عنه،

لأنَّ تفاصيلَه تُخمِدُ نيرانَ واقعي الأهوج،
لانصياعكَ لفكرةِ أن يكونَ القلبُ فيها
هو السيدُ الوحيد:
لا العقل،
ولا الجنس،
ولا الجسد،
ولا كلُّ أشيائنا الفيسيولوجيَّة،
ولا كلُّ ذلكَ الضَّعفِ الذي لا يُغتفر.

يُغريني هذا المستحيلُ في قصّتنا،
المستحيلُ
الذي يجعلُ امرأةً ميتةً تجوبُ الشوارع
بقلبٍ حافٍ،
لتحفرَ اسمَيكما على الأشجار
وهي تدركُ جيدًا
أنّ الطريقةَ الوحيدةَ في سلامتِها...
أن تُبقي بلادَ قلبِها
دونَ ماء.

***على خد زنبقة ***

أفتحُ التفاصيلَ كمَن يفتحُ عُلبَ الهدايا،
أجتهدُ لكي تبدو الدهشةُ واضحةً.
سُمرَةُ الحكايا في فنجانِ روحِك لا تنتمي إلى العَتمةِ القاسية،
بكُلِّ تفاصيلِك الشرقيَّة، لكنها حُلوةٌ كقطعةِ بَسكويتٍ مُقرمشةٍ هشَّةٍ وشهيَّة.

لِحيتُكَ القصيرةُ، وأنفُكَ المنحوتُ على حافَّةِ الوجهِ،
سِرُّ انفلاتِ الظلِّ من تفاصيلِ الترقُّب.
تتّسعُ حدقةُ العينِ للرؤى...
تلك لحظةٌ حاسمةٌ بعد النشوةِ الأولى،
الهدوءُ المُتمددُ في مساحاتِ صوتِك
يُشبهُ خريرَ الماءِ في رسالاتِ الصباحِ في ساعتِه الأولى.

والتناهيدُ التي تُلقيها فجأةً
بينَ الشوقِ واسترسالِ الحنين
تمسحُ جبينَ الشمس.

تتمددُ في رئتَيَّ كنفخِ الروحِ
فجأةً بعدَ تمامِ العبثِ في أرحامِ العاقرات.

يومُكَ زحام،

والأُخرياتُ يركضْنَ خلفَ سُمعةِ العطرِ
الذي يلفُّ عنقَكَ كوشاحٍ أسودَ،
يحملُ كودًا سرّيًّا لعاطفتِكَ
التي تستظلُّ هانئةً خلفَ حنجرتِكَ.

وأنا الأنثى الخجولة
التي لا تغارُ إلا سِرًّا،
ولا أعترفُ بصراحةِ العبارات،
فقط يستهويني المجاز.

كامرأةٍ تجلسُ على حافةِ النهر،
تَرجُمُ وجهَ الماءِ بالحصى
كمَن يَرجُمُ خطيئةً بريئةً من الذنب،
فيستقرُّ الخبرُ في العُمقِ القَصيّ
أسفلَ سُرَّةِ التنهيدة.

وحتى هذه اللحظة،
لم يُدرِكْ صاحبُ العِطرِ
أنَّ ظلَّهُ الهارِبَ من جحيمِ التفاصيل
يُعانقُ ظلّي العالقَ في عُمقِ البحيرة،
يَتعلَّمانِ معًا قانونَ الطفوِ على خدِّ زَنبقة.

الباب الثالث

امرأة من فانيلا

"امرأة من فانيلا "

أنا امرأة من فانيلا،
أحمل فوق رأسي خيبات عديدة،
أطلق على كل واحدة منها اسم زهرة
لكيلا أكره القدر
وأمقت النصيب،
فيمقتني صاحب العرش
وتدعو عليَّ الملائكة فيحل على قدري غضبه.
سبحانه "رأيته منذ أشهر يضحك لي في حلم"،
هو يعلم أني أحبه وأني راضية رغم همجية قولي.
هو يعلم،
وهذا كافٍ جدًّا حتى نلتقي بعد أن تُبلى السرائر وتَبلى.

مهزومة بفعل الزمن.
أقولها صراحة:
- تقبلت الأمر-
شتان بين امرأة تحبكَ لها جناحان
وخيال من براح،
وقلب بري،
وروح غجرية..
وامرأة مدفونة في أواني الطبخ،
لها ذراعان مكبلتان بالموقد
و المجلى،

وذكريات من هموم
تصنف ضيق اليوم على أنه راحة تستحق الحمد،
له الحمد على ما وهب ومنح وأعطى،
وعلى كل ما سلب ومنع وأخذ.

تقول امرأة الفانيلا:
أيهما أصدق:
أدب الدراويش
أم
أدب الغجريات؟!
ذلك المعجون بلهفة التوت البري.
أن تحبكَ امرأة غجرية
-ترقص على أوتار قلبك بروية،
وتصنع من نبضك كرنفالات ليلكية
سخية في منح اللذة-
هي المتعة المحمومة بالتعبِ
لحظة انسكاب الحب فوق خد الرعشة.

كيف يتسنى الوقت لامرأة من فانيلا
ترش القرفة في أركان منزلها،
تُبسمل صباح مساء،
تستحضر جمالها في منتصف البكاء،
تتنهد كتهويدة وجدٍ ليست خاليةً من الألم،

تكتب حزنها برويةٍ في فنجان قهوتها،
تضع الورد في المزهريات كل صباح،
تحاور امرأةً عاقرًا عن "عقوق الأمهات"
دون أن يهزمها البكاء قبل السؤال؟
هل ستفهم المغزى؟!

كيف يتسنى الوقت لامرأة من فانيلا
ترش الملح على عتبة المنزل،
وتقرأ الفاتحة
على روحكَ المسلوبة من روحها لا إراديًّا،
على روح والدها الذي أحبته ضعف عمره أضعافًا،
على الصباحات التي قضتها في تلاوات -الأحبكَ-
على موسيقى صوتكَ التي تتنهد في رئتيها،
على الشهقة الأخيرة في إحدى مكالمات المجون،
على الهالة التي خطفتها البارحة وقتلتها غدًا،
وعلى روحها المحمومة بك تصوفًا وعهرًا؟

امرأة من فانيلا؛
لغة قلبها حارةٌ،
لا تعرف الذنب ولا تعترف به،
يتحول جسدها في الليل الى حانةٍ
أنت كل روادها على سكرة كأس
مازال يمارس الظمأ... حتى تجمعنا الصدف في "ضفيرة من جسدين".

بيت يشبهنا

صنعت بيتا يشبهني
في بلدة صغيرة على أطراف المدينة الأم،
له شرفةٌ كبيرة تطل على واجهة نيلية
سمراء كوجه الرجل الذي أحب،
جدرانه زجاجية
تلمع حد أنك ترى وجهك براقًا كنجمٍ في مجرة،
تعكس الضوء والدفء على الأثاث والأرضية،
كل جدار يحمل لوحة لحلم يشبه الرجل الذي أحب
وأخريات لملوك الفلسفة وأساتذة الشعر و الأدب،
هؤلاء الحمقى المنشقون عن قافلة القداسة
الذين يشهرون أقلامهم وأشعارهم في وجوه المتملقين
وجوقة المثقفين
المنتمين إلى الفضيلة الهوجاء.
أتعلم،
ليتني خرجتُ عن الركب وطاوعت قلبي والتقينا.

في الأركان وفي الزوايا
وضعتُ الكثير من الإضاءة الخافتة،
شابوهات قرمزية وجرامافون جدي القديم،
مقاعد بيضاء وأرجوانية،

ترتاح عينك فور دخول البيت فيشفى قلبك من القلق.
طمأنينة ليست باهتة وليست عابرة تتسلل إلى روحي،
أن يصبح لي بيتًا يشبهه
وغرفة خاصة تحمل ملامح خفية للرجل الذي أحب،
تتراقص على جدرانها الظلال؛
ظلي وظل الرجل الذي أحب
وظلال أخرى لأبطال الخيال.
على مرآتها الكبيرة ينام ظله،
يغمزُ بشقاوة فتنعكس في عيني الرؤى،
وتنهمر على قلبي التعاسة لأنه ليس هنا.

البارحة تخاصمت وابني
البالغ من العمر بضعة أعوام؛
ارتفعت حرارته
حزنًا
أو قلقًا، ربما لأنه زعل المامي،
تحسسته لحظة عناق الصفح،
سألته بقلب وجل وعين قلقة:
"ليش حرارتك بترتفع بس تزعل المامي؟"
أجابني بالفصحى:
"حالتي تزداد سوءًا".
أضفت للعناق قبلة ثم أخرى، تبعتها أخرى ثم بضع قبلات دافقة،

وهمست لظل الرجل الذي أحب القاطن في زوايا البيت وفوق المرايا:
"أيها الأسمر الشهي كالقمح والنيل والليل والأرق، تعلم من قصير القامة كيف يكون الحب خارج إطار العتب".

***أنت العيد وكل الأعياد .. أنت ***

هو العيد ماجاش ليه؟،
قالتها وهي تمارس مهام اليوم وكل يوم بالطريقة العادية ذاتها..
بين الزحام الذي تركض فيه الأطياف في رأسها وجدران البيت الذي لم يعد يسكنه أحد.
كانت تدندن على مهلٍ أغنية عاطفية:
"قالوا لي هان الود عليه ونسيك وفات قلبك وحداني".
تمسح الغبار عن "الأسرة المهجورة" لإخوتها الغرباء، الأحياء منهم والأموات.
تغير الشراشف التي "لم ينم عليها أحد"،
وتعود إلى الدندنة:
"هو افتكرني عشان ينساني".

ترقص أحيانًا وهي تنزل على الدرج الفاصل بين
"حلمين وقصة"
كانت بين حبكتها الأميرة والخليلة وخادمة المنزل و عشيقةً للرجل الذي لم يكتشف أمره أحد.

ذات حديث عابر،
لقبها أحدهم بالسيدة "Grey"،
الحياة أيضًا رمادية..
الأيام،
فناجين القهوة التي عاف عليها الزمن،

لحظات الانتظار،
"التابلوهات" المعلقة على الحائط،
رسائله التي بت أتلكأ في الرد عليها،
ثم استرسلت في الغناء:
"أنا بحبه وأراعي وده
إن كان في قربه ولا ف بعده".
وبعد صمت قليل أردفت:
"قصتنا أيضًا رمادية يا عزيزي".

أسرق سيجارة من "الجيب السري" في بنطال أخي،
لربما كانت محشوة بتربة حشيش أو "فتيل من المارجوانا"،
أشربها على مهلٍ في ساعة غافلة عن الترقب بين
"الخدر واليقظة"،
أستمع إلى فرقتي السرية "cigarettes after sex"،
أعبث بخصلات شعري،
يتكفل النسيم بحمل عطره الى "حيث أنت"،
في التجمع ربما... أو في "مقهى تحبه" مع حبيبة جديدة أو صديقة، أو أي امرأة والسلام.
أصمت طويلًا -حتى يختنق الدخان في صدري-
لأحبس طيفك المار بصدري خشية أن ألفظه مع الزفير الهارب من جهنم اشتياق.

تُرى...

أيهما أعمق وأكثر تحنانًا من سابقه:
"اشتقت لك ولا وحشتني"؟
يعتصر عقلك "شفتيّ في قبلة وجد"،
أشعر بها وأنا "أعض بنهم" على شفتي السفلى.
ينساب الحنين في أوردة القلب
فتصاب عيناي بحرقة،
يفر الدخان هاربًا،
ويحتضن ظلك فوضاي فأذوب بين ذراعي الخيال
"كقطعة سكر" في فنجان الشاي الساكن أمامك
بالمقهى المذكور أعلاه ذاته.
ويفك قيد ابتسامتي اسمك المبعوث "كنفخ الروح" فجأة فوق شاشة هاتفي
ليتمدد صوتك في خافقي "كطبطبة الرب" قائلًا:
"هو اللي حالي كده وياه كان افتكرني عشان ينساني".

***أبيض و أسود ***

يسألني مارك "بم أفكر ؟!"،
أبيض و أسود؛
كثيرة هي الثرثرة في رأسي هذه الليلة.
سأصنع فنجان قهوة،
أضمد جراحه بقليلٍ من السكرِ لكيلا يكون مذاق النبوءات مرًّا،
يكفي أن يفضحها السواد وتكشف ستره العتمة.
أبيض وأسود؛
قد يمنح ما أفكر فيه معنى أعمق وتفاصيل أدق.

عن امرأته،
هل انقضت أيام نفاسها؟!
ستكون معه الليلة،
ربما غدًا،
قميصٌ من الدانتيل الأسود على سرير يكسوه البياض
يعتليه جسدان.
أبيض و أسود؛
أكاد أجزم: سيتحول جسدها نايًا،
وعيناها غابات ومروج،
ستغدو كفوفه نهرًا،
وزفيره أخدودًا.

هذا المزج المرهق يشبه صخب الموسيقى،
وعتب النايات في آخر نوتةٍ باكية "لسيد سالم والقصبجي".
تعب الصوت في دندنة أغنية عاطفية مُبكية على وتر مشدود
وهوة سحيقة في جسد قصبي،
-هجرتك يمكن أنسى هواك وأودع قلبك القاسي-
أتراني أستطيع!

ثعلب هو، قطة هي،
وأنا غزالةٌ برية تراقب الحدث من بعيد وتشهق،
مرةً من شدة البكاء ومرات عديدة من شدة الحزن،
أليس البكاءُ شدوًا يشبه الموسيقى!

سلني يا مارك
عن صبر أيوب، كيف يُحقن في الوريد؟!
عن عشق زليخة المعجون بالخطيئة في البدء وخاتمته طهر،
عن بئر يوسف ووعده المؤكد بالملك في الملكوت في أخمص العتمة والشرود.

مهزومة أنا
بين مخيلة معجونة بعشق أسود وخطيئة بيضاء.

أحبكَ

أحبك .. بالطريقة التي عاف عليها الزمن؛
بحفظ تواريخ زيارتك إلى القاهرة
وكل توابعها من تواريخ المغادرة،
في مدونتي السرية بنوبات حزن
على مقياس ريختر.
بمنح صورك ديمومة العناق
كل ليلة قبل النوم،
والاحتفاظ بها تحت الوسادة،
فتأتي بك أحلامي على جناح لهفة حارة.
أتعلم،
"للحلم أجنحة، بينما للقدر مخالب"،
لذلك سرعان ما تحنو علينا الأحلام في خلوات الخيال،
بينما القدر قاسٍ يقتلنا بحرفية ملائكية السطو.
نحن الأيوبيون الصبر..
نستغفر الرب من ذنب ملائكي الصفة، في محراب فكرة بريئة إلا من فتنة العناق بكل صفاتها المقدسة.

منذ يومين بكيتك كثيرًا،
واستيقظت هامدة الجسد
فاطمأنت عليك عيني
بعد أن أصبحتما خصمينِ "أنت وقلبي"،

هو يُصر على الإبقاء عليك في أعماق أخدوده
وأنت تُصر على إبعادي والزج بي خارج حدودك.
أود أن أستريح من لعنة اشتهائك يا "فاكهتي المحرمة"،
لعلني أستريح من محاربة القدر فيك
يا "حيلتي الدفاعية"
بتخطي التوسل والتودد لكل ذي قدرة تعلو قدرتي على التخلي عنك بالطريقة التي لا تعرف سوى الاستحالة،
وكأنك جزاء الصابرين الذي أنتظره
بعد عشرين عامًا من الحزن،
وكأنك قميص يوسف الذي به تبرأ كينونتي ونفسي.
أنا حزينة، حزينة لأنك لست هنا،
لأني لا أزين لأجلك بيتي،
لأني لا أتجهز لأجلك كل ليلة في غرفتي،
لأني لا أحصل عليك إلا في حلمي،
كم هي جميلة بك الأحلام
وحزينة دونك الدنيا!

*** في طي .. الذاكرة ***

في طي ذاكرتي
أراقب إبرة تحك جلد أسطوانة جرامافون،
أصمت فينتشر اللحن في رئتيّ.
أشربه مع فنجان قهوة،
أو في الحقيقة هو من يشربني.
يتخلل مسامات جسدي فيقشعر جلد القلب، وتنتصب كل الحواس دفعة واحدة
كمن يسير بمحاذاة نهر تتراقص فيه الزنابق على صفحة الأزرق
كقرابين لمساءات التعب.

أكتب رسائلي على ورقة بيضاء بزوايا قرمزية من محبرة عتيقة،
فوق سفح رملي على أطراف شاطئ منسي في رواية أحببناها معًا.

يتشرب الموج خوابي الرسالة فتظمأ الحكايا القديمة في قلبك،
تركض باحثًا عن إحدى رسائلي التي أودعت لك فيها كل الحب،
فترتوي حواسك طواعية.
تغمض عينيك ويهدأ داخلكَ
كمن نال من سلسبيل العشق كل ما تمنى.

"قلب .. يتذكرني "
لي قلبٌ يتذكّرني كلما نسيتُني،
يتفقد شقوقي، يقيس عمقها، لا ليغلقها،
بل ليكتب منها قصيدة.

ما عدت أخاف من كوني منقوصةً بدونك.
فالناقصات هنَّ الأجمل حين يُضئنَ من الداخل.
أنا التي وُلدتُ من الرماد، لا لأعود رمادًا بفراقكَ،
بل لأُبعث منّي مرارًا
بصوتٍ يهمس في الصمت:
أنا لم أُخلق لأُشفى بالكتابة عنكَ،
بل لأُوجِع العالم بفتنة قصائدي.
فلا تخافوا عتمتي،
فيها ظلال نجماتٍ لا تظهر إلا لمن يحدق طويلًا.
ولا تحاولوا كسري،
فأنا أتكاثر بالشروخ.

وإن متُّ،
فلن يكون موتًا،
بل لوحةً تُترك مفتوحة،
"لعل أحدهم يُكملني بنظرة حب، و يعيد فيَّ كل شيء حيًّا".

***حينما... تهدأ الريح ***

ولمّا تَهدأ الرّيحُ فِي دَاخلها،
تَسير بِحذرٍ كأنَّها تَخاف أَن تُوقظ شُقوق الرُّوح،
تَرتّب ذاكِرتها بِأناملٍ تَرتجف،
تَلمُّ ما تَبقّى مِن نُدفِ الحُلم،
وتَسند ظهرها على حائطٍ لا يَسأل، لا يُعاتب، لا يَخون.

تُحدّث قلبها:
"الهوينة يا صَغيري، لا تَحزن فذلك الصدع
يقسم العمر إلى نصفين كلاهما للحزن.
لا بأس؛
نَحن لم نُخلق لنَربح دائمًا،
لكننا نَكتب، وحين نَكتب، نَعيش مرّة أُخرى.
وحين نُحب، ذلك يكفينا لننجو".

تَغلق عينيها...
تَستلقي فِي صَدر الوقت،
تَشهق نُقطة، وتَزفر سُكونًا،
وتُردّد داخِلها:
"إذَا كان لِلقلبِ جنازة،
فللرُّوحِ بَعثٌ لا يُكتَب إلا فِي نصٍّ يُشبهني".

*** بين دفات دفاتري ***

أعود إلى غرفتي
أجرُّ جسدي كمن يجرُّ كفنًا لم يمت فيه بعد،
أخلع اسمي، حُليي، وذاكرتي،
وأدخل بين دفات دفاتري،
أبحث عن امرأة كنتُها
قبل أن تُختصر في لقب "زوجة".

أفتِّش عن حلم علَّقته خلف باب أبي،
عن قصيدة خبأتها في جيب مريول المدرسة،
عن أنثى كانت تؤمن أن الحرف مقدَّس،
وأن الجسد معبدٌ، والقلب حرم صلاة
لا يُدخله إلا العاشقون بصمت وورع.

لكنني الآن...
أكتبه كمن يُقيم جنازة لحلم قديم،
أرثيه في كل سطر،
وأدفنه في بياض الصفحة،
وأنام باكية على كتف ظله.

*** نار .. لا تروض ***

أنا؟
أنا النار التي لم تُروَّض،
أنا التي إن أحبَّت، خلعت قميص النهار
وارتدت شال اللهفة
ووقفت أمامك... بكامل جرأتها، وخجلها.

أنا امرأة من ورد
لكن لا تنخدع بالرائحة،
امرأة خُلِطت بدهشة الأسئلة،
برماد الأمهات،
بكاء البنات،
وحنين النساء اللاتي لم يُقبَّلن كما يليق.

أنا التي تعلم أن الشغف لا يُصنع من جمرة،
بل من يدٍ تمسِكك في الزحام
وتقول لك: "ابقَ هنا، حتى لو احترقت".

أنتَ تبحث عني في راقصات الليل
وأنا كنت أبحث عنك في صمت الفجر،
في أنين القهوة،
في الكتب التي لا يقرأها أحد سواي!

أنت رجل من رماد،
وأنا؟
أنا امرأةٌ تكتب نارها بالحبر،
وتصبُّها فوق صدر الورق
لتنجب من القصيدة رجلًا لا يفرُّ من الاحتراق.

الباب الرابع

بيني وبين اللّه

على طاولةِ التشريحِ

أنا
نصفُ ظِلٍّ،
ونصفُ امرأةٍ كانت تُضيءُ عندما تُحبُّ،
وتَحتَرِقُ كُلَّما اقتربتْ من صَدرِكَ أكثرَ ممَّا ينبغي.

أراكَ في المنامِ،
ثم أفتحُ عينيَّ على أنقاضِكَ،
أُرتّبُ سريري بحذرٍ
كيلا ينهارَ شيءٌ داخلي فجأةً.

أُفَتِّشُ عنكَ في الثلَّاجة،
في الجيبِ الداخليِّ لمعطفٍ لا ألبسُه،
وفي رسالةٍ لم أُرسِلْها... وإنْ أرسَلْتُها.

أجلسُ على طاولةٍ خشبيَّة
كأنَّني مِلَفٌّ طبيٌّ،
كأنَّني ورقةُ أشعّة،
كأنَّني أُنثى من ورقٍ مبلولٍ
تنتظرُ تقريرَ تشريحِها الأخير.

أتَعرِف؟
لم أعُدْ أُريدُ أن أكتب، لأنَّ القصيدةَ أصبحتْكَ،
كُلُّ سطرٍ مِنْكَ ينهشُني،
كلُّ استعارةٍ تُذكِّرُني بفشلي في الحفاظِ عليكَ،
لأنّكَ "لا تُريد" التلميحَ أو التلويحَ باسمِكَ في سطرٍ يَقتَرِفُكَ بكُلِّ حبٍّ، كأنَّه "خطيئة" قد تَصِمُكَ بالعار.

كلُّ مَجازٍ كان يَحنو على نفسي البريئةِ من كلِّ ذَنبٍ
تَمَّ نَسبُه إليَّ عَمْدًا في المُوَارَباتِ الَّتي قد تَشي بفِتنةٍ "تُشبِهُكَ".

وبِكُلِّ الحرامِ المُقدَّس، حين قُلتُ في عُمقِ المعنى:
"أنا بخيرٍ دون أن أكون"،

لم أكن بخير،
ولا كنتُ قويَّة،
ولا سامحتُكَ.

أنا فقط
وضعتُكَ في قارورةٍ صغيرة،
ورميتُ بكَ إلى البحر،
كمنْ يرمي سِرًّا لا يُحتَمَل.

والآن...
أشتاقُكَ،
نعم، لكن ليس كما تُحبّ.
أشتاقُكَ كما تشتاقُ اليدُ إلى أصابِعِها بعد البتر،
كما يشتاقُ المِقصُّ إلى وردةٍ لم يَذبحْها بعد،
كما يشتاقُ الليلُ إلى نجمٍ سقط
ولم يتركْ عنوانًا.

في الغد...
سألبسُ فُستاني الأبيض،
سأذهبُ إلى المقبرة،
سأضعُ لكَ الزهور،
وأدفنُ القصيدةَ معكَ،
لكنكَ لن تموت.
أعرف،
لأنني، ببساطةٍ...
لم أعشكَ بعد.

أنا؛ صَنْعَةُ اللهِ الَّتي لَنْ يُخْدَشَها حَيٌّ

لَم أُخْلَقْ مِنْ هَشِيمٍ، ولا مِنْ شَهْقَةِ صُدْفَة.
أنا صَنْعَةُ الله،
صَنْعَةُ قَلْبٍ غُمِسَ في نُورِهِ،
وسُقِيَ بِالرَّجَاءِ، حتّى إذا مَالَتِ الأَرْضُ... ظَلَّ ثَابِتًا.

أنا الَّتي وُلِدتُ مِنْ دُعَاءِ أُمِّي،
ومِنْ دَمْعَةٍ خَبَّأَهَا أَبِي حِينَ تَكَسَّرَتِ الدُّنْيَا فَوْقَ كَتِفِهِ.
أنا الَّتي تَنْمُو في الظِّل،
ولَكِنَّهَا تُزْهِرُ حِينَ لا يَرَاهَا أَحَد.

خَذَلَنِي الوَطَنُ فيْمَنْ حَسِبْتُهُ وَطَنًا،
كَأَنِّي غَرِيبَةٌ في حِضْنٍ تَعَلَّمْتُ نَبْضَهُ،
كَأَنَّ دِفْئِي صَارَ جَرِيمَة،
وَحَنِينِي خِيَانَةٌ وَطَنِيَّةٌ سَأُعَاقَبُ عَلَيْهَا بِالجُرْمِ المَشْهُود.

أنا الَّتي أَهْدَتْ حُبَّهَا كَأُغْنِيَة،
وَرَدُّوا عَلَيْهَا بِصَمْتٍ لا يُتَرْجَمُ إِلَّا بِوَجَع.
أنا الَّتي أَحَبَّتْ بِكَرَامَة،
وَخَذَلُوهَا فَمَشَتْ.

لَمْ يُرَبِّنِي التَّصْفِيق،
وَلَا نَظَرَاتُ الإِعْجَاب،
وَلَا حَتَّى الوُعُودُ الَّتِي سُكِبَتْ كَالعَسَلِ عَلَى مَسَامِعِي،
أنا ابْنَةُ الرُّجُوعِ إِلَى اللهِ بَعْدَ كُلِّ انْطِفَاء.

سَجَدْتُ فِي اللَّيَالِي الَّتِي حَسبنِي النَّاسُ نَائِمَة.
وَصَحَوْتُ فِي الصَّبَاحِ وَاليَقِينُ فِي عَيْنَيَّ يَلْمَع.

أنا لا أَنْكَسِر،
أنا أُعِيدُ تَشْكِيلَ قَلْبِي فِي صُورَةِ سَجْدَة،
وَأَخْرُجُ مِنْ أَلَمِي وَفِي يَدِي وَرْدَة... وَفِي الأُخْرَى قَلَمٌ وَوَرَقَة.

لَمْ تُرْبِكْنِي قَسْوَةُ الدُّنْيَا،
حَتَّى الغِيَابُ الَّذي كُنْتُ أَخَافُهُ كَالوَحْش، لَمْ يَعُدْ مُخِيفًا.

حِينَ تُرِيدُ أَنْ تَرَانِي، عَلَيْكَ أَنْ تَتَوَضَّأَ بِمَاءِ الوَرْد؛
لِأَنِّي لا أُكْتَبُ كَقَصِيدَة،
أَنا أُتَنَزَّلُ كَسُورَةٍ مِنْ وَحْيِ الرُّوح،
فِيهَا وَعْد، وَفِيهَا نَار، وَفِيهَا نَجَاة، وَعَاقِبَتُهَا جَنَّة.

أنا؛

بِنْتُ البُكَاءِ الطَّوِيلِ دُونَ انْتِحَاب،
وَصَاحِبَةُ الصَّبْرِ الجَمِيل،
وَرَفِيقَةُ كُلِّ الطُّرُقِ الَّتي مَشَيْتُهَا وَحْدِي وَلَمْ أُخْبِرْ بِهَا أَحَدًا.

فَيَا مَنْ ظَنَنْتَ أَنِّي قَابِلَةٌ لِلكَسْر،
اعْذُرْ تَجْرِبَتِي القَاسِيَةَ بِلُطْف.
أَنا آيَةٌ مَحْفُوظَة،
لا تُمْحَى، ولا تُفَسَّرُ إِلَّا بِتَأَمُّلٍ طَوِيل،
وأكرر : أنا؛ صَنْعَةُ اللهِ الَّتي لَنْ يُخْدَشَها حَيٌّ.

بين الشك واليقين، صرخة امرأة في لحظة حزن

يا من لا أعلم إن كنت موجودًا،
أكتب إليك الآن من تحت الركام،
من بين صرخات الأمهات، ودموع الأطفال، ورائحة اللحم المحترق.
أكتب إليك لا لأني مؤمنة،
بل لأني لم أجد أحدًا آخر أصرخ في وجهه.

إن كنت هناك، قل لي:
أيُّ ربٍّ يسمح بكل هذا؟
أي يد عليا تنظر إلينا حين تُقطع الأيادي ولا ترتعش؟
أي سماءٍ تنحني للصلاة ولا تمطرنا سوى القنابل؟

أنا لم أعبدك فقط
لأطلب منك الخلاص،
لكنِّي -رغم كل الكفر المرهون على اليأس، الذي بات ينبح ككلب مسعور في صدري وصدر العالم-
أصرخ باسمك حين تهتز الأرض من تحتي،
وأتذكرك حين تُخلع الأبواب وتُهدم البيوت -على من فيها-،
بكل ما فيها.

أنكرتك كثيرًا قبل الصبر وبعد اليأس،
لكن في كل مرة كنت أهرب من رصاصة خيبة أو قنبلة خذلان مميت،
أبحث عنك في اللاوعي
كأن شيئًا أعمق من عقلي
يركض إليك مذعورًا.

لم أعد أصدق كلام الكتب،
ولا أساطير الأنبياء،
لكن قلبي -الساذج رغم الدماء-
ما زال يرتجف حين يسمع اسمك.

قل لي، إن كنت هناك:
هل أنت خائف مثلنا؟
هل تبكي مثلنا؟
هل اختبأت كما اختبأنا،
حين لم يعد في المدينة إلا الدخان واللهاث والحُطام والخصام؟

أريدك أن تظهر،
لا كربٍّ منتصر،
بل كإنسانٍ خائف معنا.
كقلبٍ كبير نرتمي إليه،
حتى ونحن لا نؤمن به.

أنا لا أريد دليلًا،
أريد لصمتك أن يهدأ،
أريد أن أعرف إن كنت تسمع،
وأنت لا تفعل شيئًا.

وإن كنت هناك،
فلا تجبني بالسلام،
بل فقط: اجلس إلى جانبي،
وانظر إلى ما صنعه الإنسان.
ولا تخبرني بطمأنينة لا منتهية:
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾،

هل نحن من ظلمنا الخليقة كما في كتابك العزيز؟
أم أن أفعال القدر تتساقط علينا بلا رحمة،
ونحن محاصرون بين قسوة الاختيار ومراوغات الزمن؟

في ظِلَالِ خُدعَةٍ

خَطيئتي الوَحيدة كانت
- حكايتنا -
أَستغفِرُ كثيرًا،
أُصلّي وأصوم،
أُقدّمُ القَرابين لأَنالَ الفِردَوس.
على حَدِّ عِلمي،
لستُ أَنا الَّتي تَبكي في المِرآة،
هذِهِ الصُّورةُ المكسورةُ أَيضًا لَيسَت لي،
لِمَن كانَت إذًا؟
لا يَهمُّ.
تَسأَلُ حَوَّاءُ في نَصٍّ مُهدَّم:
مَنِ الَّذي اختَرَعَ الأَخلاق؟
الأَخلاقُ خُدعَة؟
لا.

ذَنبٌ لا يُغتَفَر؟
لا.
مِهنَةٌ مُقَدَّسَة؟
لا.
الأَخلاقُ هَرولَةٌ خَفيفةٌ في ساحَةِ الغُفران،

حِجابٌ يَستُرُ عَورَةَ الذَّنب،
قِناعٌ يُخفِي الوَجهَ الحَقيقيَّ لِلحَقيقَة.
أَتُريدونَ الحَق؟
الحَقِيقَةُ قَبيحَة،
لأَنَّها لا تَعكِسُ سِواهَا في مَرايا الرُّوح.

لَو أَنَّني وَلَدتُ في زَمَنٍ آخَر...
أَيَّامِ الرِّسالَةِ والنُّبُوَّةِ مَثلًا،
رُبَّما اختارَني اللهُ حِينَها زَوجَةَ نَبِي،
أَو خَليلَةَ رَسُولٍ راضِيًا مَرضِيًّا،
لأَنَّ اللهَ يَعلَمُ أَنَّني أُحِبُّ الأَنبِياء،
صَحائِفُهُم البَيضاءُ مُغرِيَة،
حَتمًا سَتتوَارثُها الخَلِيقة جمْعَاء.

البَياضُ
نَقَاءٌ مُثِير،
غَرِيزَةٌ لا تَعرِفُ الذَّنب لذوي البَصِيرة،
لِكلِّ مَن لا يَهفوَ إلى خَطيئَة.
لَكن،
هَل خَلَقَ اللهُ مِنَ الطِّينِ مَن لا يَهفُو إلى خَطيئَة؟
لا يَهمُّ...

كَثِيرَةٌ هِيَ التَّسَاؤُلاتُ في رَأسي،
أَلُفُّهَا يَمِينًا ويَسَارًا،
لَعَلَّني أَهدَأ.. لَعَلَّني أَستَرِيح.
أَشرَبُ كَأسًا كَبِيرَةً مِنَ الوَايْنِ الأَبيَض
الَّذي لا شَائِبَةَ فِي مَجَازَاته للحُزنِ، ولا شَكْ..
أُهَزُّ رَأسي جَيِّدًا،
تَسقُطُ كُلُّ أَفكَارِي الرَّجِيمَة
الَّتي لَم تَتَعلَّقْ إِلَّا بِرَحمَتِكَ،
أَلا تَعلَم؟
حُبُّكَ كَانَ رَحمَةَ الله الَّتي حَصَلتُ عَلَيهَا،
كَانَ المُنقِذَ مِن فِكرَةِ الِانتِحَار، والإلحَاد،
مِن كُلِّ أَفكَارِ الكَراهِيَةِ والفَسَاد.

أُهَزُّ رَأسي مُجَددًا،
تَتَسَاقَطُ أَيقُونَاتٌ صَغِيرَة،
تَلمَعُ وتَنطَفِئ،
تَخبُو وتَستَعِر،
هِيَ أَفكَارُ الأَلعَابِ الحَمِيمَةِ لِكلِ أَبطَالِ الخَيَال،
سَمرَاء، بَيضَاء، خَمرِيَّة، و لَيلَكِيَّة.
حِينَ تَنطَفِئ، تَئِن.
مُربِكٌ جِدًّا أَن تَسمَعَ أَلعَابَكَ تَئِن،
دُميتِي عَلى الطَّاوِلَة، أَنِينُهَا يُشبِهُ مُوسِيقَى الفَالْس،

والدُّبُّ الأَشهَبُ الكَبِير
النَّائِمُ فَوقَ الأَرضِيَّةِ الخَشَبِيَّة،
يُتَابِعُ النَّجمَاتِ مِن شُرفَةِ البَيت،
أَنِينَه كَالدَّندَنَةِ... عَينَاهُ تَلمَعَان فَور مُرورِ نَجمَة و تعْزِفان البُكَاء.

يُصَابُ البَيتُ بِالكَآبَةِ حِينَ لا أُغَادِرُ السَّرِير،
لَدَيَّ أَعرَاضُ انسِحَاب،
"أَدمَنتُكَ"
وَارْتَبَطَت طَرِيقَةُ تَنفُّسِي بِظُهُورِ ظِلِّكَ.
ظِلُّكَ الَّذي غَابَ مُنذُ عِدَّةِ أَيَّام،
يَعلَمُ أَنَّنِي أَختَنِق،
لَكِنَّهُ يَكَادُ يَجزِمُ أَنَّي أَتَنَفَّسُ بِطَرِيقَةٍ عَادِيَّة،
عَادِيَّة جِدًّا... لِكَي يُمَارس غِيَابًا أَشَدُّ.
أَ تَ نَ فَّ س،
رَغمَ أَنَّنِي لا أُرِيدُ ذَلِكَ.
فِي الحَقِيقَة...
أَنَا أَحتَضِر.
كَانَ هَذَا "آخِرَ مَا قَالَهُ الطَّبِيب"
قَبلَ أَن يُغَادِر دُونَ عَودَة.

هكذا كان الله يزور مدن قلبي

الخجل الوحيد الذي أنحيه جانبًا
أجني ثماره وأنا أحدث الله عنك،
عن الهَم الذي اختزنته في صدري مذ عرفتك،
عن المواعيد التي نامت باكية في شوارع الريح،
الطمأنينة الخفية التي تتسلل إليَّ -كنهر يشق طريقه في مصب حرماني- أتعمد تكرارها
بضمير عاشقة قلبها منبرٌ وجسدها محراب،
وضميرها ساحة حرب بين جنود العفةِ والخطيئةِ.

لم أخجل
لأن الله اصطنعك لنفسهِ،
وأنا اصطفتيكَ لنفسي
واتخذتُ من وجودك ملاذًا
لكل الأحلام المؤجلة.
رتق طيفك نتوءات وجعي
حتى عادت فتنة الحب أدراجها ترسم فوق جدران ذاكرتي
ذكريات منزوعة الأسى.

كان يزرع في وريد الصبر وعود اصطباري
بين صدمة المرئي واللامرئي وخزة حزن وأنة
أدمنتها، فأدمنت إدماني عليك.

لم أخجل،
أردد الأغنيات التي أحببتك فيها على مسامع الله،
وكلي يقين
أن صوتي لن يختلط بآخر،
كنت أُغنيك وأَعنيك
في المقاطع فردية اللحن،
حتى الجماعية.
كنت أتلو آيات الصبر بين لحنٍ وآخر بصوت حاد،
وأشتكي الحزن لله
كما يفعل الكروان ويشتكي الخلق
لمن أبدع وصور،
يصدح في الأفق عند المغيب، كعندليب في الحب فقد خِله:
"أشكيه لك لك لك يا صاحب الملك".
في الحقيقة، لم أكن شجاعة كما الكروان
لأشتكيك لك، ولم أخبرك أبدًا أن
"صوتكَ صلاة روحي، فلا تتركني مقطوعة الفريضة "

لم أخجل،
أحببتك في الموسيقى،
في الشعر، والنثر، وفي كل ألوان الأدب،
كما أحب الأنبياء وحي الله

في خلوات الليل، وبين أسرة الغيم كلما تعب النهار،
في سكرات الحزن، وبين نوبات البكاء.
يومًا ما،
ستلهو أسماؤنا في رحم الغيب
كلؤلؤ مكنون
بعد أن تأتي القيامة بأسرارها
لتبدأ رحلة الميلاد.

لم أخجل،
كنت أعاتب النايات التي حفظت غيبية اللحن،
والبحة المشروخة في دعوة قلب محزون،
وتعمدت تلاوتها على العباد في صلاة غائب،
بزفيرٍ حاد الخشوع، مختلطٍ بدمع لم تشُبه شائبة ندم،
فكانت الكامنجات عبادة على وَتر ليلٍ ووِتر قصيدة خرساء إلا من ديمومة الهمس.

لم أخجل،
أحببتكَ
كما أحب الله نفخ الروح في العباد،
فكنت أنت،
وكنت أنا،
وأصبح ميلاد الحب في كل روح عبادة.

مهنة مقدسة

بعد صلاة الفريضة الأولى
أتجهز للنزول، أو النزوح، إلى العمل، لا يهم
المسمى، كلها مصطلحاتٌ لا تصلح للحب،
قد تصلحُ للحرب فقط.
القليل من القهوة في الصباح
يصنع بعقلي ما تصنعه مضادات الاكتئاب،
فيروز تغني
"شو بخاف دق عليك وما لاقيك"،
كم مرة طرقت فيها دموعي أبواب السماء ولم أجد أحدًا!
تقول جدتي الراحلة:
"اطمعوا في ربنا، الطمع في ربنا حلال".
كنت أول الطامعين في الرب
عندما أحببت، وتزوجت، وأنجبت بلا داع، ثم التجأت إلى الطلاق طواعية.
في كل مرة كنت أعود فيها إلى الفراش وحدي،
كنت أطمع في طبطبتك لأواصل صومي عن كل الرجال
ما عداه،
وحده كرهت الصوم فيه،
وامتنعت عن نكران شهوتي الفاضحة في نن عينيَّ
كلما لمحت طيفه بالجوار.
تسترسل فيروز في الغناء

"يا ريت بيتك كان منو بعيد، والباب تحت البيت مش حديد، بلحظة بلاقيك وبطلع تا حاكيك حبيبي"،
وكأنها تعلم...
أن بيته في الضفة الأخرى من العالم،
وأن الفاصل بيني وبينه
ليس الدرج الفاصل بين حلمين وقصة،
ولا الطريق الفاصل بين بيتي وضفة النهر،
ولا المقهى المجاور لمقر عملي الجديد الذي يستفز عاطفتي بأغنياته الصباحية،
الطريق بيننا متوازٍ يا حبيبي.

صباح الخير مرة أخرى،
لست شاعرةً ولا أديبة،
أنا مجرد طاهية حرف،
تنضجُ لغتي على مواقد لهفتي.
هكذا خلقت،
وهكذا أيضًا آمنت بشرع الحب
كما آمنت بربوبية الرب ووحدانيته
بلغة الإيمان المشتقة من مشقة اليقين،
دون الإذعان فيه.
وبالإيمان ذاته اعتنقت مذهب العفة مرغمة
لأني أخاف الله،
ولأني أخاف الله أيضًا

امتنعت عن الفراش مرارًا وتكرارًا
حتى حصلت على لقب "النشوز".

كل ما في الأمر
أني أشعلت الشموع حول وجهه، لأقرر إدراجه ضمن قائمة "المقدسات"
التي اعتاد عقلى أن يدرج بها كل صباح اسمًا جديدًا وخرافة جديدة.
منذ هذه الفوضى البائسة، التي زادت من خصوبة وجهه، مات مبدئي في النشوء،
ولم يعد في استطاعتي أن أخلق كوني على طرازي المفضل فوق نتوءات ملامحه،
أو أن أسرق من عينيه ضوءًا يؤنس فلكي حينما أقرر الصعود إلى قمة رأسه، لأغزو
مصيري كعاشقة بواسطة الجنون.
لم يبق لي سوى أن أترك قبلة فوق عتبات شفتيه، وأرتشف من ريقه رشفة الطهر
بينما يتوضأ عمري المهدور بدموع ذكرياتي.
أقيم صلاة جنازة لجسد التوق الذي مات وقتما اختزلت وجهه في طقس شعائري،
وجمعت العذارى كي يشهدن على أنه أصبح سرابًا.
حجب التقديس كل طيرٍ يحمل راية يرشدني في سفري لثغره، ولم تنبثق منه لغة
إضافية تفي برغبتي في احتضان عالمه.
في حقيقة الأمر؛
"لم أكن سوى نسخة قبيحة من قديسةٍ حاولت أن تجعل من عشقها مهنة مقدسة"

"***حبٌّ لا ينطفئ***

وعدتكُ يا ربِّ، فلم أستطع،
لا كذبًا، ولا جحودًا،
بل لأن قلبي هشٌّ، يتبع صوته لا صمته،
يرتجف كلَّما ابتعد، ويبكي كلَّما اقترب،
كأنَّ بيني وبينه سلكٌ كهربائي
لا يقطع دون حريق.

كلما رفعتُ يدي إليك، سقطت عيني عليه.
وكلما همستُ باسمك، صرخت أضلعي باسمه،
وكلما حاولت أن أكون لكَ وحدك،
انسكب هو من ذاكرة قلبي كشلالٍ لا يُرَد.

يا رب،
كيف أعدك بالفطام
وقلبي طفلٌ لم يُفطَم بعد؟
كيف أقطع ما لم أقدر على لمسه دون ارتجاف؟
كيف أنسى مَن سكنني قبل أن أعرف كيف أُسكن نفسي؟

{رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَسِينَا أَوَ أَخْطَأْنَا}
أنا ما نسيتك يا رب،
لكنّي نسيت قوتي فيك، وسرحت في ضعفي.

أعلم أنّي ضعيفة،
وأعلم أنَّك لن تحاسب المتعبين،
فأنا لا أهرب منك، بل إليك،
وكلما فررت منه، فرَّ قلبي إليه.
خذ بيدي، فإن روحي تشتعل،
وأنا أبحث عن مطر رحمتك ليطفئني.

يا رب،
إليكَ أبث شكوة أنثى
أحبَّت بقلبٍ ساجد، وابتُلِيت بروحٍ لا تنطفئ،
كل خفقةٍ في أوصالها تقول: "إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ"،
ولو تعلَّق القلب بظلِّ بشر،
فإن جذره فيكَ، وسجودي إليك.

فامسح على قلبي مسح العارفين،
واخترني لك كما تختار الضعفاء الذين يحبُّونك أكثرَ بعد كل انكسار.
اجعلني أنثى إذا بكت من فَقْد، سجدت من قُرب،
وإذا تخلَّى عنها الناس، قالت:
"حَسْبِيَ اللَّهُ، وَ كفى".

اسْتقِيموا جنازةُ قَلب

ثُمَّ لا تَسألوا عن تَاريخ الوفاة،
فقد مات مِرارًا في كُلِّ غيابٍ لم يُبرَّر،
وفي كلِّ صمتٍ نَبَشَ صدرهُ بِالإبرة،
وفي كلِّ سؤالٍ كان يَعرفُ إجابته ولا يَجرؤ على النُّطق بها.

مات حينَ أَحبَّ بصِدقٍ كَاملٍ
فَلم يُؤمِن به أَحد،
ومات أَكثر حينَ صلَّى على رُوحه في عيونٍ لا تُبصره.
كُلُّ قُبلةٍ مُؤجَّلة كانت مِسمارًا،
وكُلُّ حضنٍ لم يأتِ في موعده كان شاهِدًا آخر.

يا مَلائكةَ الغيم،
خبِّئوه في سِرِّ النَّدى،
اِحنُوه بِرِقَّة النَّوايا،
غنُّوا له كما تُغَنِّي الأُم لِطفلها في ليلِ الحُمَّى،
لعلَّه يَهدأ
أو يَنام،
أو يُولَد من جديد في شكلِ قَصيدة لا تَعرف الموت.

لغة الأوجاع

نحتاج إلى لغة أخرى غير تلك المستهلكة نكتب بها أوجاعنا،
نحتاج إلى أشياء ومسميات وطقوس غير التي نامت فوق كتف الورق آلاف المرات، وتركت فوق معصم العمر حروفًا غائرة من أسماء لأناس كانوا حقيقةً في عالم افتراضي ذات حماقة افتراضية.

نحتاج إلى محبرة من دموع العذارى،
هؤلاء النقيات اللواتي لم تفسدهن ترهات الخطيئة، ولم تُستهلك أذهانهن في البحث عن مغفرة.
نحتاج إلى حب يستحق الحزن،
حب حقيقي لم يولد فوق أسرة إلكترونية،
تمحوه أزرار
وتغتاله أفكار رتيبة،
وتجهضُ أجنة اتقاده على جمر اللهفة طقوسَ البرد في صناديق الرسائل.
نحتاج إلى كاسات أكثر اتساعًا لشراب "المارجريتا" الذي يؤدي دورًا ليس بالهين لحظة الاعترافات الكبيرة.

نحتاج إلى مناجاة في صلاة عارية من صرامة الإنشاد والإرشاد، بطقوس خالية من ذوي اللحى الكثيفة، بلا أجراس معلقة أو مئذنة وحرم صلاة.
"أبانا الذي في السماوات خربانة تحت"

هكذا بكل أريحية الصوت تنطلق العبارة، تفتح في رحم السماء هوة قد يتحول فيها الأفق اللطيف إلى جهنم إذا لم يلق في أعماقها أحدهم دعاءً شفيفًا غير منمق، غير مكترثٍ بطقوس الأبجدية، كافرًا بكل لغات الصرامة، مؤمنًا بالمواربة التي تفتح آذان الرب لنداءات الحزانى التعساء الذين لم تصل صرخاتهم الطويلة المتمثلة في دعاء حار.

لبكاء الأطفال تحت أنقاض قصف في حواري الشجاعية،

لبكاء الأرامل على الحدود الإقليمية بين غزة وسيناء،

لبكاء الرجال في ميادين القتال لحظة نفاد الذخيرة في القدس وجنين،

لبكاء الصبايا اللاتي تفضُّ بكارتهن ببضع دراهم، لتأمين قوت اليوم من خبز فاسد صنع من قمحٍ مسموم على موائد الحكام العرب الذين نهبوا البلاد وأكثروا فيها الفساد.

نحتاج صباحًا غير هذا الصباح الحزين

كنوع من هدية ربانية، لا نلعن فيها طقوس الصباح بفناجين القهوة في سرادقات العزاء التي ستقام اليوم

على روح من مروا في الحياة مرور الكرام

ولا عزاء والسلام.

قد أوتيتم سؤلكم

هل تعلمون،
للكتابةِ شعائرها الخاصة التي تشبه صلاة الحرفِ
في حرمِ القصيدة.
لا أخفيكمْ سرًّا،
لنْ يتحولَ الغدُ إلى مشروعِ قصة بعدَ أنْ بيعتْ الأحلامُ بثمنٍ بخسٍ في سوقِ البورصةِ.

لنْ تتخلى الفتنةُ عنْ سطوتها وهيَ تعربدُ بنا في حاناتِ الذاكرةِ قبلَ أنْ تغتالَ فينا البراءةَ تحت مقصلةِ العاطفةِ كلما اشتقنا العناق.

لنْ ينامَ الوحشُ الذي يراودني عنْ نفسي كلَّ ليلةٍ في المرايا والرؤى قبل أن ينالَ مني مبتغاه، وكلما رفضتهُ أجهشَ ظلهُ باكيًا فوقَ الجدارِ.

لنْ تنامَ الطفلةُ التي في قلبي
قبلُ أنْ يأتيَ والدي بنجمها المفضلِ الذي لطالما حدثها عنه في حكاياتِ ما قبل النومِ.

لنْ تتوقفَ الأرضُ عنْ دورانها
حتى تنصبَ منصةُ العدلِ، وينالَ كل ذي حقٍ حقهِ قبل أن نفنى ويأكلنا التراب.

ولنْ يبنيَ التعساءُ أمثالي وأمثالكمْ سلمًا في السماءِ ليمسحَ الربُ فوقَ رأسي ورؤوسكمْ بتحنان مبالغ فيه

بعدَ أن ينظرَ في مسألتيْ ومسألتكمْ،
فتردّ الملائكةُ مهللةً: "قدْ أوتيتمْ سُؤلكمْ"،
إلا إذا تبينَّا النبأُ الذي أتى بهِ الفاسقونَ، فأصابنا اليقين بإيمانٍ لا شكَّ فيه ولا ريبة.

***أمام قصر .. عدلك ***

بسم الرب الذي قَدست وأحببت وعبدت، هذه شكوتي إليك سرًّا وعلنًا.
الله العظيم الأقرب من نفسي إليَّ،
أمهلني ليلة واحدة
لكي أمارس خطيئتي بكل حرية قبل أن أقف أمام قصر عدلك.
سأشكو إليك قهري، إخوتي الغرباء عني،
وأبي الذي عشقت فيه كذبتي العظيمة.
وربما أجر الرجل الوحيد الذي أحببت أيضًا إلى منصة العدل خاصتك؛
الرجل الذي أجبر حواسي على أن تعمل بشكل أكثر من طبيعي،
الرجل الذي تكرر في ذاكرتي مرةً بعد مرة بعد مرة بعد مرة في صور كل الرجال الذين التقيت.

الله العزيز...
سامحني على جنوني الذي اقترفت حينما أحببت رجلًا غير الذي تزوجت وطُلقت،
سامحني على نشوزي في فراشٍ لم أنتمِ إليه قط، ولم ينتمِ إليَّ إلا إذا وصلت الرغبة منتهاها.

الله العظيم،
لقد كنت فكرة في ملكوتك الكبير،
ومن تلك الفكرة ولِدت بعقلي أفكارٌ عديدة،
أود أن أعرف الوسيلة للتخلص من الشذوذ الفكري قبل أن ينعتني المتأسلمون بصفات الضلال ويتهمني المزيفون بالكفر والخروج عن الملة،

ماذا لو كان هذا الملكوت خدعة،
خدعة لم تجرنا إلا إلى ساقية الوحل!
الشيخُ على المنبر يهدد ويتوعد باسم الدين،
والأباطرة يمنحون المغفرة خلف المشربيات العتيقة،
ونحن عباد الله مسحولين في هذا الخراب،
دنيا دنيئة لم نختر العيش فيها، ولم نختر خسارتها أيضًا.

الله العزيز،
متى ينتهي كابوس العبودية في بلادنا العربية؟!
متى نركض في رحابك طالبين السعي للحصول على قوت اليوم
دون أن يعرقل سعينا رئيس أو وزير أو مدير أو وليٌّ أو علة مرضية كانت أو عرضية؟!

عزيزي الله،
ما الحكمة في تجذر السرطان بجسد طفلة لم تبلغ من العمر إلا عامين وبضعة شهور؟
ما الحكمة في انهزام عمودها الفقري ونومها نومة لا قيام بعدها بقبر يبلغ من العمر عتيًّا؟!
أنا حزينة، حزينة بهدوءٍ مبالغ فيه،
أخشى على نفسي منه وربما أخشى خسارته إذا نفد مخزون الصبر عندي، فكن رحيمًا بي ولا تأخذني على محمل اليأس.

حبيبي الله...

لم أخف منك بالقدر الذي أحببتك به، ولم أخشَ على نفسي إلا من فتنة أيام ثقال كهذه الأيام.

لم أندم على خطيئتي إلا عندما اتخذني الجاثوم ملاذًا لرغباته التي خلصتني منه آية بقرآنك،

دلني على طريق الخلاص لنجاة امرأة ميتة من الداخل.

إلهي،

كفكف دموع القلب وابتسم لي في حلم بريء يأتي بوجه "مريم" ضاحكًا،

لكي تهدأ ثورتي التي لن يدركَ جنونها إلاك في سريرتي الصغيرة.

***حدثوني عن الله ***

حدثوني عن الله

عن الوصايا العشر والصبر وعن الأمهات الآلهة،

حدثوني عن اللغة الفاصلة بين مجازات التوحيد والكفر واليقين الهش وعن الإيمان، عن اللغات البوهيمية والصلاة الإبراهيمية و القُداسات المباركة وتراتيل الراهبات..

حدثوني عن الذنب وعن الثواب والعقاب، عن الجنة ومفاتِحها وعن جهنم في الديانات الثلاث، بالشدة واللين والغلظة والاحتجاجات.

حدثوني عن الأجساد التي تفنى، والأرواح التي تسبح في الفراغات، عن الأصوات التي تأكل الصمت وتمضغ الوقت وتقتات على عقارب الساعات.

حدثوني عن الرغبة واللهفة وكل الملذات.. عن الرهبنة والتمتمة وكل الاعترافات.

عن تعاويذ الإعجاز، وعن طلاسم المتاهات، والكتابات والرسوم العجيبة بدهاليز النسيان والسر والسهو وكل الابتهالات.

حدثوني عن البخور والروائح الكريهة، عن الزيت المبارك والسوائل العجيبة، عن الأحبار الحمراء والزرقاء والسمراء، وعن الكبريت الملون أيضًا أخبروني.

حدثوني عن التطهر من الذنب وعن القداسة، عن الاغتسال من الجنابة وعن الحيض والمني أيضًا حدثوني وأفزعوني..

عن الرجفة والرعشة، وعن التفاصيل المحرمة، وعن الأوضاع المباحة و من المفردات التي تجلب الشيطان حذروني.

حدثوني عن كل شيء، عن أي شيء، بكل شيء أفجعوني.

وبكل عناد العقل ولين القلب أرهبوني، و قيدوني، ووبخوني، وانهالوا عليَّ بالشتائم والتمائم، وبسوطٍ غليظ زركشوني.

بين الندبات المفتَّحة بالملح عالجوني باليود والصمغ والإبرة والخيط، رتّقوني.

وبكل لاءات الرفض أغضبتهم وأحزنتهم، وبكل سبل الشك أفزعتهم وأفجعتهم، وبكل طرق الهزل والجد جادلتهم حتى أهلكتهم وأنهكتهم، فتركوني بعد أن صدقوا جنوني وأطفأوا مجوني.

وهرولت أركض فوق الغيم بجسد عارٍ من ذهولي بعد أن سلبوني الروح والعمر أفقدوني.

يا سادة الحرمات المحرمة والحرام المحرم، حرروني.

يا كل متدين ومذنب في تاريخ وجود كائننا البشري، أنجدوني.

فكروا لوهلة في نور الله الذي يمتد بلا حواجز ولا حسابات ولا مقاييس فيزيائية ولا أبعاد فيزيقية، و به دثروني.

ذلك الوهم الذي اعتراكم للاستحواذ على الكون الهائل مجرد أكذوبة شرسة وساذجة في طريق عبوركم نحو العالم الموازي لهذه الحياة، بها كثيرًا أضحكتموني.

الباب الخامس

عن شيءٍ يشبه الفتنة

عن شيء يشبه الفتنة

تقول امرأة معجونة بالحزن:

أنا أيضًا مثلك تمامًا،

أنام على وسادة واحدة مع رجل يقولون عنه

-زوجي- منذ عقد وعقدتين.

لا تستهويه ذائقتي الكتابية، يقول بسخرية نازية المعنى:

تكتبين الأدب بلا أدب، وتمارسينه كما قال الكتاب -في السرير-

فأتذكر قول جدتي المأثور:

"قعدة الخزانة ولا جوازة الندامة".

لو تعلمين يا جدتي ما حدث، لقد حصلت على

"جوازة الندامة"، وتركت الحب للخزانة والمعاطف الطويلة والتنانير

-زوج الندامة- لا يعترف أني أمتلك من الفراسة ما يجعلني أقرأ ما يجول برأسه دون أن يتحدث.

في داخله المعتم..

- الكثير من النساء والنزوات والسرائر -

خادمة الجارة العجوز ذات العلكة الوردية،

رائدة أعمال بتنورة قصيرة،

بائعة جائلة في إشارات المرور تخبئ حزنها في قماطة رأسها لتحصل على حفنة دنانير ووجبة،

راقصة رخيصة ونبيذ في حانة ليست بعيدة،

بائعة هوى بجسد مترهل وأفخاذ منتفخة،

وعاهرة تبيع جسدها لكل عابر على كل شكلٍ ولون و قصة..

أتمتم بصوت مرتفع:

يقطع عمرك إلهي.

نرجسي تستهوه الأجساد فقط؛ مكشوفة العانة أو مستترة خلف كل الملابس في الخزانات المعطوبة.

عن شيء يشبه الفتنة،

الصباحات المهولة التي تأتي فيها رسائلك باكرًا

تعينني على تلقي رصاصات اليوم بصدر رحب وابتسامة.

فوق الشريط القاتم القابع أسفل الشاشة الكبيرة في الصالة

تمر الأخبار على عجل،

أسواق البورصة وارتفاع أسعار السلع،

أسواق النخاسة وانخفاض أسعار البشر،

أسواق الحرب و اتحاد الساسة على الشعب والغلابة الكادحين.

أشرب القهوة وأتمتم:

يلعن هالحياة، شو بدنا فيها.

أتجهز وأذهب للتسوق، كل ما هو بالسوق مصاب بالجنون؛

الباعة، السلع، البضاعة في المخازن، الأرصفة، الحقائب البلاستيكية، وحتى أعمدة الإنارة تارةً تمارس مهامها وتارة أخرى عاطلة عن العمل.

في المقهى المجاور تجلس صبية في منتصف عقدها الثالث، تغمز بشقاوة لرجل يجلس مع امرأة لا يتحدث إليها ببنت شفة، حتمًا هذه

زوجته.

قبل أن يكمل فنجان قهوته دفع الحساب، وأرسل إليها رقم هاتفه مع النادل،

وأتمتم مرة أخرى بصوت خافتٍ:

يقطع عمرك إلهي.

عن شيء يشبه الفتنة؛

أجلس عارية إلا من نظراتك التي أخبئها في جيوب قلبي،

تقفز مع نبضة مسرعة تنساب بروية فوق خصري،

تشد الليل من عنقه.

تضعنا معًا في السرير، ننام بلا وسائد،

بلا شراشف،

بلا ستائر كاشفة للضوء،

و بلا قيود تكبح جموح " الأحبكَ".

نمارس فنون الحب بلا أدب ولا تأدب،

نتعلم معًا قانون الطفو الذي تمارسه زنبقة بنفسجية بكل نعومة فوق جسد النهر الذي نتأمله معًا، فوق سرير من ورد وزنابق وشهوات لم نستح من كشف سترها أو الحديث عنها.

أحدثك عن تفاصيل اليوم، وعن لعنات النساء وأمنياتهن الكبيرة

-بالعمر المقطوع- لأشباه الرجال.

تسحبنا " موسيقة التنهيد "، ننسى اليوم وتفاصيله وكل لعنات الحياة.

تلتف ساقي حول ساقك، وكفي يتسلق لبلاب صدرك، وشفاهي تهمس بدفء كل ما خبأته في جيوب روحي من شعرٍ وقصائد وحكايا،

وبين شفتيك يبدأ نفخ الروح في الروح فنبعث من جديد.

يخبئ القمر عينه ويترك "فينوس" تقص عليه ما حدث بيننا وبين النهر وزنبقته من "أشياء تشبه الفتنة"

*** كيف لي أن أنكرك، وكل حواسي تذكرني بكَ***

هكذا بدأت صباحي بعد وصول رسالتك
"صباح الخير يا شرسة"،
هذه الشراسة الناعمة التي تأدبُ فيك الصرامة، فيستسلم المستذئب الذي يعتريك للقطة المخبأة تحت جلدي.
كفي الصغير وهو يتمدد على صدرك، يصعد إلى عنقك وشفتيك وطرف أنفك المنحوت على حافة الوجه،
أنه صباح عاشقان، ناسكان في محراب التفاصيل.

"صباح الخير يا حبيبي".
تتمدد قبلاتك على عنقي... صعودًا إلى شفتي، نزولًا حتى الوصول إلى كل مفاتني المحرمة.
تميل رأسي على كتفي في سهوة تختبئ فيها سبابتي بين ابتسامة وعضة خفيفة على طرف الإصبع، في مزج مرهق بين نشوتي التي تصيب أسفل باطني برجفة وخجلي المستتر في رعشة أطرافي الوجِلة بلطافة حلوة.

"أحبكِ"
قالها بنبرات متعددة حفظتها عن ظهر قلب.
رغم أن يقظتي كانت مخدرة لكنها في حالة صحو مربكٍ.
نهنهة خفيفة، شهقة محشوة بقنبلة قبلة

انفجرت في وريد القلب،
سمعتها، داهمتني، لمستني، تسللت إليَّ فضاجعت لهفتي بقوة ناعمة، فشهقت مرة بعد مرة بعد شهقة أقوى حد أنك انتشيت.

"ليلة من الخدر اللذيذ"
تسألني أمي عن سبب تورد وجنتي،
أتجاهل السؤال
وأعود إلى السرير، إلى الوسادة التي غفا عليها ظلك بغرفتي الوردية،
كل هذه الأيام أتجيش لأجلك في كل صور الأحبكَ التي أفصحت عنها،
والتي لم أفك قيد وثاقها إلا في رحاب وجودك الذي لم أحظ به بعد.

"الليل ناعم وثقيل، يسحبني إليك".
ليتني أستطيع طي نفسي لتحملني حقائب الشغف في جسدك،
لتتورط بي ملابسك كرائحة عطر تحبه،
وتنعم بي شفتيك بين رشفة ماء وفنجان قهوة عامرة النبوءات بكل تفاصيل الغد الذي سنمارس عليه سطوتنا اللطيفة.
هذه المرة، أعدك ألا نسقط في المعاناة
بين صمت طويل وثرثرة قلب.
أردد تعويذة حب:
"أنا المطوية في جسدك عامرة الحضور، نبوءة وجدٍ بلعنة حب، في قلب رجل شرقي لم يخلق مثله أحد".

*** خلف ركب النهار ***

شيء ما سأكرره دائمًا،
ليس ضروريًّا
ولا اعتياديًّا،
هو شيء والسلام حتى أهنأ بليلة خالية من البكاء،
"ما رح ألعن العالم قبل النوم، بيكفي لعنته الصبح، وبكرا يوم جديد".

على المارين خلف ركب النهار أن ينتبهوا
لخطواتهم الأولى،
قصصهم الأولى،
ولمن ستكون "أول صباح الخير" في هذا اليوم الغائم.
"حلو اللون الأسود بهاد الطقس اللي بلا ملامح".

على العابرين أيضا أن يأخذوا حذرهم
من رائحة العطر التي لن تغادر شهيقهم،
من الابتسامة التي لا تغادر الذاكرة،
من الكفوف التي تعانق كفوفهم لتبادل التحية ولن يغادر دفئها،
ومن الذكريات التي تأبى المغادرة إلا بحدث جلل.
"جارتنا ضيعت قطتها المون فيس، طق قلبي من صراخها لترجع، قولكم راحت تحتفل بعيد العشاق..
ما بعرف".

هل كانت فيروز على دراية بما سيحدث بيننا؟!
كيف لنا أن نفترق دون لقاء؟
كيف لنا أن نلتقي دون فراق؟
كيف لنا أن نمارس الحب خلف الشاشات؟
وهل ستقوى مرايا الرغبة على الصمود أمام ذلك النهر الجاري من الاشتهاء؟!
الغواية برد،
والرغبة نار تأكل حطب الروح على مهل.
كل ما أعرفه جيدا
أن هذا النهر الجائع الذي سيلتهم ظلنا بين النار و المرايا وجبة دسمة،
سيبقى يتجشأ عطر هديرنا نبيذًا وحكايا.
"حبسي أنت، أنت حبسي وحريتي أنت وأنت اللي بكرهه واللي بحبه أنت، إذا تركتك بشقا وإذا بقيت بجن".
أديش حلوة فيروز، أنا بقول أد العالم وقلبي.

*** نبيذ الحكايا ***

أريد أن أقرأ كثيرًا؛
قد تعيد القراءة تشكيل دماغي،
ربما تعيد هيكلتي من جديد،
هذا إن صح التعبير
أو
اتضحت معالمه، -لا يهم-.

أود أن أقرأ لأنسي الحاج
وسقراط،
أطلع على رسائل ميلينا لكافكا،
وأعانق بلطفِ حميم رسائل مي زيادة التي أحبت جبران خليل جبران بكامل عاطفتها حتى أخذهما الموت في نزهة، ومنحهما حبًّا آمنًا من الخيبات.

أود أن أعانق الأميرة ديانا -التي يشبه مصيرها مصيري-
رغم أن معانقة الحزانى لن تعيدني إلى سيرتي الأولى،
و لن تتكفل بقصائدي اليتامى.

حين يلتوي كاحل القلب
تفقد الطرقات معالمها،
تتوقف البوصلة عن حركتها،
وتفقد الأرض جاذبيتها.

نتحول إلى حمام يطير في المدى،
أبعد من المدى،
نتحول إلى دخان وروائح وقطرات ندى،
نسابق الريح، نترك الغيمات في ورطةٍ
حبلى بالمطر والأحلام،
حبلى بأرواح الراحلين،
حبلى بأناس لن يجيئوا أبدًا.

أمد يدي في عمق المسافة المعتمة،
أجلب ضحتك فأضحك،
أمدها مرة أخرى،
أجلب قبلة نائمة في باطن كفي فيفوح العطر مني كوردة.
أمدها أخرى،
وأكرر فعلتي مرة بعد مرة بعد مرة
فلا أجلب إلا القهر،
القهر في صورةِ اللاشيء..
في صورةِ باب لن تطرقه يداك تاركًا على عتبتهِ رسالة،
في صورةِ طاولة لشخصين لن نجلس عليها معًا،
في صورةِ عناق بارد يخلو تمامًا من حميميةِ الضمِ.

تعال لو حلمًا،
لو كذبًا تعال،

تعال ولا تتعال،
تعال في رسالة خالية من العتب،
تعال في اتصال تحرضني فيه حنجرتكَ على العناقِ و لو همسًا في "أحبكِ" دافئةٌ.
تعال واجلب معكَ الورد والأغاني،
اشترِ لي الكتب والصور،
اجلب لي ولو كذبًا قلبًا خاليًا من الكذب.
تعال،
في ليالي البردِ ورائحة المطر والصوف،
في مساءاتِ العائلة ورائحة العود والبخور،
في دفء الحطب ورائحة القهوة وضي النبوءات في عتمة الفناجين،
في دندنة الراديو وعناق الموسيقى ورائحة الضم بين كفوف العاشقين.

تعال،
لينام الحزن نومة الأبد،
نوقظ معًا فرحتنا الغائبة من سباتها،
لتنام قبلتك قريرة العين بين خطوط يدي ودفء كفكَ،
ويتقد الشوق مرة أخرى في عيون الحكايا.

***نوافذ خيالاتي ***

في إحدى نوافذ خيالاتي
حفرت بئرًا في البحر،
ولعبت النرد مع آخر حفدة بوسايدن، وراهنته على قُبلة وربحت.

عجنت الحبر بماء الورد لأصنع اعتذارات لطيفة
تليق بكل المواعيد التي لقت حتفها
بين أصداف البحر، على أسرة موج مارس العصيان وفرَّ هربًا خلف ظل الشمس..
على أطلال الحدث،
أخبرت الشمس ألا تعود
ما عاد فينا حي،
وما تبقى منا أكلته ذئاب الفكرة الهاربة من جحيم النسيان.

بين نغم الحفيف ودندنتي
حلبتُ نجوم القهر،
وأرضعت الأنين نايًا.
نفخت في روحه كل حزني،
وخلقتُ للبكاء عزفًا منفردًا.

*** وجهك العائلة ***

تربكني المجازاتُ؛
حدَ أنها في أحايينَ كثيرةٍ تجبرني على البكاءِ.

وجهكَ العائلةَ،
وعيناكَ الأبَ الشرعيُّ لكلِ صوري المعكوسةِ،
والحارسُ الأمينُ الذي يهتمُ بتفاصيلِ ظلي
وأتباعهِ الصغارِ وأشباهه الأربعينَ بمختلف أعمارهمْ.

"أفكرُ فيكَ بعدَ شهيقٍ طويلٍ، لأدركَ أنكَ كلُ شيء".
هكذا سمعتها على الساوندكلاودْ وبكيتُ،
البكاءُ الذي أصبحَ مهنتي المقدسةُ
حدَ أنهُ أهلكَ "قرنيتي"
فنهرني الطبيبُ، ومرةً أخرى "بكيتُ".

أحاولُ أنْ أقطعَ الشوارعَ التي خُيل إليَّ أنها حبلى منكَ بخطوةٍ لمْ تفقدْ أثرها بعد، فأبكي.
أتحسسكُ بقلبي، فأبكي.
أتذكركُ بحواسي، فأبكي.
أشتهيكَ بعاطفتي، فأبكي.
"ليتني أفقدُ قدرتي على الشعورِ، لأتوقف عن البكاءِ "

*** جمرةٌ في ذاكرةِ امرأة***

لا تغلقوا الأبواب على المجاز
حتى لا تغدو القصائد مقفرة،
أو يتخللها العطب في الصباحاتِ المغزولة بالتعب.

بعد صلاة القلب في محراب فرحةٍ صغيرة،
ما زلت أمارس طقوس الصبر بطريقةٍ شبه عادلة
حتى لا أفقد كل إيماني دفعة واحدة،
فتتهمني العائلة الفاضلة بالفجور،
أو يراقبني أحدهم فيدرك بنظرة خاطفة
أن هناك شيئًا قد تغيَّر.
من أجل ذلك،
أناشد الله كل ليلة مخافة وحبًّا،
أ تراه يقبل أحلامي وقلبي
كقرابين تقيني شر غضبه لبعض الوقت؟!

مجازًا يا أناي،
لا أود أن أفضح الكتمان فيفضحني السر ويجهش بالبكاء،
سيتحرش الحبر بحنجرتي وصوتي
ليقرأ اسمك في ترتيلة حبٍ على منابر اشتهائي
بميوعةٍ يصعب نسيانها، خبأتها سرًّا بين ولعي وهلعي
في الأنين الذي تتماهى موسيقاه مع موسيقى البكاء.

بتُّ أحفظ ملامحك جيدًا،
رسمتها بالأزرقِ والرصاص،
فتنةٌ في منتهى الغوايةِ -تخيلكَ-،
كتفكَ، صدركَ،
جسدكَ بكامله "جمرةٌ في ذاكرةِ امرأة".

البارحة رأيتكُ في المنامِ،
تنورتي قصيرة بيضاء، وكَنزتي بنفسجيةٌ.
شَعري كما شِعري، لا حدودَ لهُ ولنْ تسعفهُ قافية،
قامتي أقصرَ منْ قامتكَ والحلمِ كما المسافةُ لا تعليلَ له ولا تفسيرَ.

قبلاتٌ متعددة
لعينكَ المتعبةِ منْ فرطِ الرؤى،
لشفتكَ السفلى،
للحيتكَ ولأنفكَ عدة قُبل مضاعفةِ،
والخاتمةِ في العودةِ إلى البدءِ،
نطفةٌ ورحمَ،
ماءَ وعرقَ،
دفءِ وبردْ،
لهفةٌ وشهقة،
صورةٌ في مخيلتي تَمنيتها حقيقةً،
جنينٌ أحملهُ منكَ في حشايَ، يبدأُ بنفخةٍ منْ روحِ اللهِ

وينتهي بطفلٍ يشبهكَ.

لست خجولة بما يكفي لكي أحفظ سركَ،
لكنني بكل عدلٍ أُجيد كتمانه..
الخجلُ الوحيدُ الذي أنحيهِ جانبًا
وأتخلى عن القداسةِ فيه؛
أجني ثمارهُ وأنا أحدث اللهَ عنكَ،
عنْ الهمِ الذي اختزنتهُ في صدري مذْ عرفتكَ،
عنْ المواعيدِ التي نامتْ باكيةً في شوارعِ الريحِ،
عنْ الطمأنينةِ الخفيةِ التي تتسللُ إليَّ كنهرٍ يشقُ طريقهُ في مصبِ حرماني.
كلها آثامٌ لطيفة أتعمدُ تكرارها بكل ما أوتيت من حبٍ بضميرٍ عاشقةٍ قلبها منبر،
وجسدها محرابٌ، وضميرها ساحةُ حربٍ بينَ جنودِ العفةِ والخطيئةِ.

***رِقَّة ***

وأنت كنت الضد الذي داهم ثورتي وفوضاي بهدوءٍ تام..
كأن التهدئة جزءٌ من تكوينكَ الفسيولوجي؛
تبتسم برَقَّة، تغازل برِقَّة، تثور برِقَّة، تغضب برِقَّة،
وتحزن بمنتهى الرِقَّة..
تلك التي لطالما كانت جزءًا من صفاتي التي لم أنتمِ إليها إلا من الخارج.

الرِقَّة
شعور يتدفق في عمق الشعور،
ينساب بين جنبات روحك فيصنع من غضبك بالونًا ينفجر سريعًا عند أول الضحك،
فتغلف النظرة الغاضبة رِقَّة
ليزول الغضب و تتسيد كلمات الأحبكِ
لحظة الخدر في منتصف العناق.

إنها الرِقَّة، هي فقط "رِقَّة".

***صبية وخيال ***

أنا إحدى الصبايا اللواتي رسمن على الأرض طائرة وحلقن بها في ملكوت الخيال، زرت فيينا وحواري بوخاريست وأقاليم ألمانيا والريف الأوروبي.. أنا إحدى الفتيات اللواتي وضعن تحت وسائدهن صورًا لرجال أحلامهن، وكتبن لهم رسائل بريد لم تصل إلا عبر قبلة أطلقنها في مهب الريح مع ضحكة بريئة.

أنا إحدى العذارى اللواتي وضعن خطوطًا حمراء تحت جمل رومانسية في روايات عاطفية، وبكين رثاءً لروح البطل الذي قتل فوق حصانه الأبيض وهو يخطف الأميرة قبل أن يمنحها قبلة وداع أخيرة.

أنا إحدى الحالمات بالأمومة، وإحدى المحرومات من الطفولة البريئة، وأولى المغتصبات في سن صغيرة، ولست آخر المعترفات بالأمر على الملء.

أنا إحدى المغتربات في بيت والدي المتوفى، وأصغر المغادرات اللواتي حلمن بالسفر لبلاد بعيدة بتذكرة ذهاب لا تحمل خانة العودة.

أنا من هؤلاء المكابرات في الحزن، العصيات على النسيان، من المغرورات جدًّا إذا التقيتهن صدفة في طريق ما، ذوات الشفافية العالية التي تكتشفها فجأة عبر طريقتهن في الحديث بلهفة عن جيرانهن العجائز حين يتبادلون الشتائم والسباب.

أنا من البائسات اللواتي تختنق أصواتهن وترتجف أطرافهن توترًا إذا كظمن الغيظ قبل أن تجهش أرواحهن في البكاء، دون أن يلفتن النظر أو يستمع إلى نحيبهن أحد.

أنا من هؤلاء اللائي عشقن الغيم المتراكم فوق صفحات الأزرق، اللواتي يتابعن أسراب الحمام ويفردن أذرعهن مدعيات الطيران للحاق بسرب غادر قبل مغيب الشمس، ليكمل مسيرة ارتحاله مع أول خطوط الضوء، غير مبالٍ بمن وما ترك خلفه.

أنا منهن، ومعهن، وفيهن، وبينهن أحيا المسيرة ذاتها، بالطريقة ذاتها التي تجبرني على الصراخ أحيانًا في منتصف الليل والعمر والأحلام، لأشعر فقط أني لم أفقد إنسانيتي في ذلك الجمود الذي التفَّ حولي و قيدني بغير رغبة مني، قبل أن ينكشف السرُّ عني في ساعات الندم الأولى عند العودة إلى المسيرة ذاتها.

بالقربِ منْ أعماقِ غيمةٍ

الليلةُ التي كانَ فيها القمرُ مكتملًا
كانَ هلالًا على الأرجح،
ربما كانَ غافيًا خلف ظلِ غيمةٍ لذلك لا يَهم كيف كَانت صورته.
الجميلَ في الأمرِ،
أنَ القمرَ كانَ حاضرًا لحظةِ انعتاقِ الغيمِ منْ سبابةِ اللهِ.

الليلةُ التي بكى فيها القمرُ
لمْ يبكِ على مهلٍ،
بَكت معهُ الصواعقُ والرعود،
بَكت معهُ نجمةٌ فقدتْ بريقها في سماءِ البلادِ،
فطويتْ الأعمارُ والأبدانُ والأحلامُ في يمين اللهِ،
ونامَ الساسةُ والحكامُ العرب بضميرٍ باردٍ ونفس مطمئنةٍ،
لذلك فقط سأحلُ السِبابَ منْ قيدهِ دونَ أنْ يلتفتَ غضبي إلى أحدِ.

الليلة التي نامَ فيها القمرُ
رأيتكُ في المنامِ؛ تنورتي قصيرةً بيضاءً،
وكَنزتي بنفسجيةٌ..
شَعري كما شِعري، لا حدودَ لهُ ولنْ تسعفهُ قافيةٌ.
قامتي أقصرَ منْ قامتكَ، والحلمِ كما المسافةُ لا تعليلَ لها ولا تفسيرَ..
ولكي تبدو الصورة أحن،

سأرسم على محياكَ قبلاتٍ متعددةٍ
لعينكَ المتعبةِ منْ فرطِ الرؤى،
لشفتكَ السفلى،
للحيتكَ ولأنفكَ عدةُ قُبل مضاعفةِ،
والخاتمةِ في العودةِ إلى البدءِ،
نطفةٌ ورحم،
ماءٌ وعرق،
دفءٌ وبردْ،
ثم لهفةٌ غافيةٌ بين ضلوعيَ، بصورةٍ تَكبر في مخيلتي تَمنيتها حقيقةً،
جنين أحملهُ منكَ في حشايَ يبدأُ بنفخةٍ منْ روحِ اللهِ.

الليلةِ التي غابَ فيها القمرُ..
الخجلُ الوحيدُ الذي أنحيهُ جانبًا،
أجني ثمارهُ وأنا أحدث الله عنكَ،
عنْ الهمِّ الذي اختزنتهُ في صدري منْذ عرفتكَ،
عنْ المواعيدِ التي نامتْ باكيةً في شوارعِ الريحِ،
عنْ الطمأنينةِ الخفيةِ التي تتسللُ إليَّ كنهرٍ يشقُ طريقهُ في مصبِ حرماني،
أتعمدُ تكرارها بضميرِ عاشقةٍ قلبها منبرٌ، وجسدها محرابٌ وضميرها ساحةُ حربٍ بينَ جنودِ العفةِ والخطيئةِ.

*** ممتنة ***

مُمتنة
لكل الذي بُحت به عنكَ للورقِ،
للوقتِ الذي قضيتُه معكَ سرًّا وعلنًا،
لكل الأمنياتِ التي زرعتها في نفسي،
لأنكَ فقط كنت جُزءًا لم يَتجزأ مني لبعض الوقتِ.

مُمتنة
للحزن الذي حولني من لبؤةٍ الى قطة،
للمَلكوت الذي حلمت أن تطاله يدي
لأنكَ جزء منه،
للقاهرة وليلها الساهر في عينيكَ،
للشوارع التي ما زالت حُبلى بخطواتكَ،
للموسيقى التي تُشبهكَ فيتشبع بها رأسي.

ممتنة
للأفكارِ الحميمةِ التي لوَّنها وجودك ذات سهر من قاتمة إلى وردية،
للسهو الذي يسرقُ مني الوقت كلما جمعتنا صُدفةً في خيالي،
لقبلة حميمة أرسلتها لي في صورة، فاقشعر من أثرها جسدي.

ممتنة...
لأنكَ خاتمة المُحبين في قلبي،

لأنكَ خاتمة الأحلام وأعظمُها،
لأنكَ خاتمة الطريق الذي لن أنساه أبدًا،
لأنكَ خاتمة التمني بعد السلامةَ والرضا،
لأنكَ خاتمة الحزنِ الذي عَظُمت شعائره في ذاكرتي.

***المستذئبة والعاقل ***

كما قال أحد الحكماء
"على السفلةِ أن يبقوا معًا"،
هكذا بكل بساطة.
أنت تروض المستذئبة التي تتلبسني كلما اجتاحني الغضب،
وأنا أروض "العاقل" الذي يعتريك على الدوام.
أعلمك الجنون بكل سبله الممكنة لتكون
"الرجل المخادع " مع المتآمرين عليك في العمل،
وتعلمني كيف أكون "امرأة مهذبة " في اجتماعات العائلة،
تقيد السباب الذي ينفلت من لساني كلما "داهمتني" نوبة عصبية.
ألعن جد جدي على هذه الخلفةِ التي كلفتني من الحزن "ميثاقًا غليظًا"،
وأنت تبارك رحم الأنثى التي أنجبتني كلما "نفذت لك أمرًا" لم يعجبني رغم أنه يعجبك.
من الجيد أن أمارس "حماقةً" ما مرة كل يوم،
في الصباح الباكر أو في منتصف اليوم أو قبل مغيب الشمس أو عند
"سطوع القمر".

هل تعلم،
كم مرة ينفلت "الضوء من عينيك" عندما أجبرك على الضحك في أوج انفعالك؟
أنا أعلم...
أحصيت عدد المرات، وكتبته في "مدونتي العاطفية"،
فهذا التصرف بالنسبة لك غير منطقي في حدث غير منطقي أيضًا..
صدر مني أو صدر عني لا يهم.

سأعلمك أن "تبصق" في وجوه المنافقين؛ هؤلاء الذين يضحكون في وجهك و"يطعنونك" ما ‘ن تدير ظهرك لهم مغادرًا أو مُدَّعيًا المغادرة.
سأعلمك أيضًا أن ترفع "أصبعك الوسطى" في وجه الحكام والساسة المخنثين، وكل من يمتد إلى طائفة المتشددين بصلةِ قريبة كانت أو بعيدة.

لن أنسى أن أعلمك أيضًا
أن تخلع كل "رداءات الرصانة" أمام من تحب،
"تلعق" البن من طرف إبهامه في مقهى لا يجوبه سوى مشردي الفكر أمثالنا؛
هؤلاء اللطيفين الذين تصفعهم الدنيا بعنف مفرط كلما ظنوا أن القدر يبتسم لهم،
حتى يدركوا جيدا أن تلك الابتسامة مجرد "خدعة".
وأن تمارس كل "شذوذك" بعنفوان تام مع من تحب،
تداهمه "بقبلة" في منتصف البرد،
ترتديه "بحنوٍ" في منتصف الشبق،
تداعب أفكاره الخشنة بفكرة "لينة" تنصاع لكما بها كل تفاصيل التمرد اللذيذ،
ترقص معه تحت المطر حتى لو ابتلَّ شعرك المثبت بنوع فاخر من الكريمات الفرنسية أو ابتل كرافتك سويسري الماركة،
أو ضاعت سترتك أمريكية الصنع على "شاطئ منحرف" على أطراف مدينة ساحلية.
كن "أنت فقط" حتى أصل بك إلى الكمال الذي أحتاجه،
ودعني "أكُن معك" كل ما أحب رغم أنف التقاليد التي أودت بي إلى واقعٍ لا يشبهني، ولا يمت لي بصلة.

***شريط .. أحمر لامع ***

يداي المكبلتان في سريرك،
هذا الشريط الأحمر اللامع،
زرقة النشوة المتدفقة في وريدك،
والحمرة العالقة بأظافر رغبتي،
اذكرها جيدًا وأنت تقضم خد التفاح بهدوء قَلِق.

دفقة الخدر المشتهى
تداعب حدائق الياسمين فوق خصري،
تتدفق لهفتك كنهر بري على حدود الترقب.
أنفاسك وترٌ حساسٌ
يضرب لحنه الأبدي فوق شفتيّ،
اذكره جيدًا، حتى لا تقتلنا مزاجية اللحن.
تدفق برقة لاستكمال نوتتك.
تنتفض الأنوثة البكر في أوردتي،
الطقس برد، وبين ذراعيك مدفأة.
لهبٌ يعكس جنون الظلال فوق مرايا الرغبة،
يتساقط ظلك فوق ظلي،
يرتعش كأخدود عميق الأثر بين النهد والسرَّة.
تتلون بك المرايا في مخيلتي،
تُصدر التماعات كنجمة برية تتهجد باسمك في صلاة الغيم
لحظة انسكاب الحب فوق خد الرعشة.

عشر محاولات للكتابة

عشر محاولات للكتابة،
فشل النص في ترويض اللغة
فكانت القصيدة عاهرة.

عشر صور مبتكرات،
لأصابعي وشعري ونن عيني،
منحتهن فتنة الطفو على أخاديد كفك،
كلما مرت أصابعك على إحداهن
حتمًا سينبت اسمي على شفتيك،
كلما استدرجتك امرأة غيري إلى السرير.
أنا كلهن وكلهن أنا، وأنا أيضًا لعنتك المشتهاة.

عشرة نصوص مفخخة بالمجاز
تختبئ خلف أسوارها نساء القبيلة ومحظيات الليل
والخارجات عن قانون القداسة
والهاربات قصدًا إلى حانات الرذيلة،
كلهن ضحايا منحة القدر المجانية لرجال
تفتقر جيناتهم إلى معنى الرجولة،
هكذا قالها الابن المراهق لأمه المكلومة.

عشر كلمات قد تصيبك برجفة قلب وشهقة،
"الليل بارد وثقيل، يمر صوتك بذاكرتي فيسحبني طيفك إلى السرير".
تدور عيناك حول مفاتني،
هذا الفلك الأنثوي العجيب يسحبك إليَّ،
في ذاكرتي تحيا "ليلة من الخدر اللذيذ".

تتساءل اللهفة الغافية بين ضلوعي:
ترى،
مَن يرد قلبينا إلينا بعد أن علقنا في متاهات المستحيل؟!

غابة من لهاث

في جسدي غابةٌ من لهاثٍ،
وفي الليل نافذةٌ مفتوحةٌ على ارتجافةٍ،
لا اسمَ لها إلَّا صوتُك حين يفيض.
أكتبك بلا أحرفٍ،
وأدعُ الشهقةَ تمرّرُ نفسَها بين قلبينا،
أُضمِّدُ رعشتي بك،
وأُخبِّئُ نفسي فيما تبقى منك حتى القيامةِ الكبرى.

أناديك في فراغِ الليل: تعالَ،
أُريد أن أُفكِّكَ اللغةَ عند حافةِ فمِك،
أُعيدُ ترتيبَها حتّى تصيرَ شهقةً ممتدَّةً،
أُريد أن أرى الليلَ يتعلَّمُ من أصابعِنا
شكلَ الدوّامةِ، وكيف تتحوّلُ الفتنةُ إلى غوايةٍ
يصلُ سحرُها إلى أعماقِ الجسد،
ثم ينطفئُ برضا.

خُذني إلى حافةٍ لا يعودُ منها أحدٌ،
حيثُ تُخلعُ القواعدُ من جذورِها،
نصنعُ الوقتَ كما نشاءُ،
ونكتبُ القبلاتِ فوق الجسدِ
كأنَّها خرائطُ نجاةٍ.

دعِ العالمَ يتفتَّتْ وراءنا،
ودعني أُلقِّنك لغةً لا يُترجمُها سوانا؛
لغةُ اليدِ حين ترتجفُ،
والعينِ حين تبتلعُ عتمتَها،
والأنفاسِ حين تشتعلُ بعد كلِّ قبلةٍ.

انزعني من جسدي دفعةً واحدةً،
واجعلني أُحلِّقُ فوقكَ مثلَ برقٍ
يعرفُ أنه آخرُ ومضةٍ قبل العاصفةِ.

*** العابد المتبتل ***

يقولُ شمسُ الدِّينِ التَّبريزي:
"لا تَعجَبْ أنْ تَرى الغَوايَةَ تَتَحوَّلُ إلى صَلاةً، فالعِشقُ وَحدَهُ يَعرِفُ كَيفَ يُطَهِّرُ".

حينَ يَراها ذلكَ العابِدُ المُتبتِّلُ،
لا يَرى جَسَدًا يَطلُبُ، بل مَعبَدًا يُستَدعى إلَيهِ طَوعًا.
يَمشِي خَلفَها، كما يَمشِي المُصَلِّي خَلفَ المُؤذِّن،
مُستَسلِمًا لِنَبرَةِ حُسنِها وهي تَروي أَرضَ الرُّوحِ كَنَاقوسٍ يُعلِنُ بَدءَ صَلاةِ.

يَركَعُ قَلبُهُ قَبلَ رُكبَتَاه،
ويَفهَمُ أنَّ الطَّهارَةَ لَيسَت ماءً يُغسَلُ بِهِ الوَجهُ،
بَل شَهوَةً تُغسَلُ بِها الرُّوحُ حينَ تُفلِتُ مِن بَينِ شَفَتَيهَا.
يَتأمَّلُ عَينَيها، في اِنكِسارِ الجَفنِ بَينَ خَجَلِها والتَّرَقُّبِ،
كَأنَّهُما عَتبَتانِ إلى السَّماءِ،
ومَن يَصعَدُ إلَيهِما يَصعَدُ إلى حِكايَةٍ لا تُروى إلَّا بالارتِجافِ.
يَضَعُ كَفَّهُ على أَثَرِ النَّظرَةِ،
فَيَشعُرُ أنَّ حَرارتَها تُبَدِّلُ جِلدَهُ،
وأنَّ الأَرضَ الَّتي وَطأَتها قَد صارَت أَرضًا مُقدَّسَةً لا تُدَنَّسُ بالشَّكِّ، بَل تُطَهَّرُ كامِلَةً باليَقينِ.

حينَ تَنحَني،
يَتَحوَّلُ عُنقُها إلى آيَةٍ،

خَطٌّ بَينَ الحَياءِ والغوايَةِ،
بَينَ القَداسَةِ والشَّرِّ.
وحينَ يَعلو صَدرُها بالأنفاسِ،
يَرى في كُلِّ ارتِجافَةٍ سُورَةً قَصيرَةً تُتلى على قَلبِهِ، فَيَخشَعُ.

هو لا يَعبُدُها كَوَثَنٍ،
بَل يَتَبَتَّلُ إلَيها كما يَتَبَتَّلُ النَّاسُ لِرَبٍّ لا يَرَونَهُ.
لَكِنَّهُ يَراها... يَراها كامِلَةً،
ويَرى أنَّ جَسَدَها كِتابٌ مُنفَتِحٌ،
حُروفُهُ لَحمٌ، وآياتُهُ عَرَقٌ، ونَبراتُهُ دَمعٌ مُتَوَهِّجٌ.

حينَ تَبتَسِمُ،
لا يَعرِفُ أَهو يُستَثارُ أَم يُبعَثُ مِن جَديدٍ.
كُلُّ ما يَعرِفُهُ أنَّهُ إن سَجَدَ بَينَ يَدَيها،
فَقَد سَجَدَ لِلحَياةِ نَفسِها،
وإن قَبَّلَ أَثَرَ شَهوَتِها والنَّظرَةَ النَّائِمَةَ على جِلدِهِ،
فَقَد قَبَّلَ خَتمَ مَعمودِيَّتِهِ بِالعِشقِ.
وعِندَما تَميلُ وتَهمِسُ:
-عَطشانَةٌ-
يَنحَلُّ الفارِقُ بَينَ الغَريزَةِ والعِبادَةِ،
وتَغدو الغَوايَةُ صَلاةً،
ويَغدو الوَصلُ خَلاصًا.

***في جسد .. القصيدة ***

تقطرُ روحها في جسد القصيدة،
لكنها لا تمضي، بل تَنفجر.
تدلقُ نفسها حبرًا حارقًا،
تُلهب المعاني، تخلع عن اللغة قناع البلاغة،
تترك القصيدة ترتجف من فوضى حضورها.
ليست زجاجة،
بل قنبلة روحٍ لا تُروى،
لا تُستَهلك،
ولا يُنسى عبيرها وإن احترق.

تقطرُ روحها في جسد القصيدة،
ثم تمضي... لا هاربة، بل مُتقصدة.
تمضي وقد نزعت جلد الخنوع،
تركت على الورق لحمَها حيًّا،
وعلى الحبر ظلَّ أنثى لا تُروى،
لا تُختصر في شهقة،
ولا تُفرَّغ في زجاجة.

هي ليست وعاءً لرغبةٍ مؤجلة،
ولا جسدًا شهيًّا لرائحةٍ تَعلق في الذاكرة.

صلاة العشق

هي الخمرةُ، لا الكأس.
هي الحمراء التي لا تشحب،
والبيضاء التي لا تُغلف،
هي من إذا كتبت، نزفت.
وإذا صمتت، اشتعل النص.

*** تمرد ..مشتهى ***

يتودد إليَّ الكثير من الشعراء،
أقرأ رسائلهم وأنصرف دون أن أبدي رأيًا أو إعجابًا،
أحيانا أكتفي بإيماءة ينوب بها عني -إيموجي قلب أبيض أو أزرق-
حركة متعالية لكنها فارغة تمامًا من التعالي..
"بركي بيفكروني مغرورة بجمالي وما يعيدوا الكرة بكرا".

في صباحات الآحاد
أذهب إلى المقهى في الثامنة صباحًا،
يتودد إليَّ صاحب المقهى،
يبعث لي رسالةً ورقية مع النادلِ،
هل يعرف أنني أحب الرسائل الورقية؟!
أقرأها دون تركيز،
وأرحل تاركة له إيماءة مع ابتسامة لطيفة على باب المقهى.
حركة كلها تعالي "هالمرة مقصودة و رح كررها بكرا".

يتودد إليَّ مدير البنك الذي أضع فيه المخزونات النقدية الخاصة بالعمل،
يستقبلني بترحاب مبالغ فيه،
ربما لا يعرف أني أكره المبالغة.
أجلس في قاعة كبار العملاء،
أنهي معاملاتي الورقية في عشر دقائق ونصف،
وأرحل تاركة له تحية حارة، فيها الكثير من الأمل بالعودة غدًا.

"عندي جلسة مساج مش فاضية بكرا".

يتودد إلي طيفك صباح مساء،
يجلس في زاويةٍ قريبة من حافة النهر الذي تطل عليه نافذتي،
يباغتني في حوض الاستحمام، أبادله المباغتة على الأريكة الوردية،
يراودني عن قبلةٍ، أراوده عن مضاجعةٍ.
يسايرني في رقصةِ فالس، أتبعه في المسايرة على -واحدة ونص-،
يغمز إليَّ بشقوةٍ، أغمز إليه بضحكةٍ،
يقترب فأقترب، يهمس فأهمس، يغني فأدندن له.
وفي آخر الليل يحملني إلى السرير،
يمسد شَعري، يقرأ شِعري، يمسني بلطفٍ حميمٍ فيذوب كلي،
وننام معًا تاركين كل أحزان العالم تحت الوسادة.

"قلت لك شي إني بحبك اليوم وبكرا وبعد بكرا؟!".

الباب السادس

عذابات صغيرة

عذابات صغيرة

كل الأخبار التي نقرأها في الصباح
لا تشي بخير،
لذلك تجنبت الأخبار والعناوين
وحكايات العاملين في البورصة والسوق التجاري،
حتى في فنون الشِعر والأدب
بت أتجنب اللحاق بالركب،
مملة هي جوقة الشعراء.
على أهل اللغة أمثالنا تغيير وجهتهم
قبل أن يأكلنا السكوت ويغرقنا العدم.

لمَ أصبح كل شيء عاديًّا،
أو بالأحرى رتيبًا حد الكآبة؟!
انقطاع صوت الصغار من المنزل
يشبه اختفاء رحمة الله عن الأرض.
ركضهم مسرعين على الدرج الفاصل بين قصتين،
إحداهما لي والأخرى لأبطال الخيال،
صراخ أمي ودادة فاطمة:
"سينكسر أحدكم ذات يوم" اختفى أثره.
جارتي السبعينية التي كانت توبخني على الهاتف، أو في ردهة المصعد، أو عند بائع الخضر أو السوبر ماركت، صامَت عن التذمر بعد انقطاع ضجيجهم.
ألعابهم لم تحرك ساكنًا منذ عدة أيام،

غرفتهم مطفأة الأضواء إلا من صدى ضحكتهم الأخيرة،
هذا السكوت
ينبش بحدة في مخيلتي العاطلة عن العمل.
تؤرقني المشاهد الباكية، لها صوتٌ حادٌّ كشفرة،
لا يهم..
سأغير عاداتي وعاداتكم، ربما أغير المدن أيضًا، الطرقات التي التوى كاحلها في ضواحي المغرب وساحاته العمومية والبيوت الكبيرة الحبلى بذكريات تحمل وصف اللانهائية.
لن أنتظر الصغار، ولن أرتب أسرتهم، سألعب معهم الغميضة وأنا أصدق من كل قلبي أني سأعثر عليهم في وقت ما وسيملأ الضحكُ المكان.

للبحر سحرٌ لو تعلمون عظيم،
للغيم أيضًا، كل ما يمتد للزرقة، له موروث القداسة.
صدقوا حدسكم إذا أخبرتكم مرايا القلب أن خرابًا ما سيحل عليكم في القريب.
وإليكم الخبر:
صبية عراة على حافة الفردوس يهيئون الضفة الأخرى
لاستقبال الراحلين على عجل من فاجعة دانيال.
المهرولون في ساحة الحرم المقدسي،
التائهون في زمن لا وجهة له،
العابثون حبًّا بساحات القصيدة،
الأخلاء الذين في قلوبهم ضجيجُ نبضٍ مستعر على الدوام، وآثامهم مجرد سكْرة لفوضى لطيفة.

لكل الذين يشبهون الحلم أمثالي وأمثالكم،
الذين يكرهون كل ما هو عادي،
يقدسون الحرية حتى لو كانت أياديهم مكبلة،
يمارسونها عن عمد كخطيئة حلوة،
يطاوعون شياطين الشِّعر،
يسبحون عراة القلب في بحر فكرةٍ
الغرق فيه شفاء من كل علة.

هكذا أحببتكَ، يا خطيئتي البريئة من كل ذنب.
لو أنكَ فقط علمت قلبكَ فنون المصافحة،
لكان وداعنا الآن أجمل.

*** حزن في جيوب الليل ***

من الذي أودع كل هذا الحزن في جيوب الليل؟

أكان عابرًا؟
أم كان وجهًا أعرفه جيدًا..
يتسلل في آخر الوقت، يربّت على قلبي ثم يختفي؟
كيف امتلأت جيوب الليل بكل هذا الثقل؟
كأن كل تنهيدة لم تجد صدرًا يحتويها تختبئ فيه،
إلا في طيَّة ظلٍّ نائمٍ على نافذتي.

أنا لم أُخبر الليل بكل شيء،
فقط كنتُ أستلقي صامتة،
والدمع يتحدث بلغة لا يفهمها سوانا.
فهل ظنَّ أن كل ما بقلبي له؟
هل ظن أن الصمت إذعانٌ
وأن الحزن وديعة أودعتُها طواعية؟

هل عرف أني كلما حاولت نسيانك،
مررتُ من طريق أطول
لأفكِّر بك أكثر؟
وكلما حاولت دفن الكلام،
نبتت جملة جديدة في الحلق،

تقول:
"أنتَ السبب.. أنت الذي فتحت جيب الليل ووضعتني فيه ونسيت".

فكرت مرارًا وتَكرارًا في مغادرة البلاد،
لكنها فكرة لن تفي بغرض النسيان.
أثرك يسري في دمي،
كلعنة حُلوة المذاق رغم شدة مرارتها.

تعيش بكامل لهفتكَ بيني وبيني،
في خطوط يدي
أرى قدرًا سيجمعنا
على حافة الفردوس في قصرٍ سيبنيه الله لنا كما سألته،
تليق بنا الجنة،
هذه الأرض يا حبيبي لم تخلق لأمثالنا؛
أهل اللهفة و الكثرة.

تشبهكَ البلاد التي أحببتها سرًّا عندما أحببتكَ؛
القاهرة، وفيينا، وباريس،
تشبهني الموسيقى التي أستحضر بها طيفكَ:
لانا دل راي، بيلي اتشيلي، وغوستلي كيسيز.
على أجسادنا أن تتماهي طواعية
مع سريالية اللحن و قدسية البلاد.

على الحزن أن يتخلى عني وعنكَ لبعض الوقت
لتنشأ بيننا حميمية العناق،
والعطف الواصل بين موعدٍ وقبلة.
هكذا فقط،
سيكون للوحدة المقسومة على قلبين ألف معنى،
وللهفة المفرطة بيننا وللكثرة أيضًا،
للألحان والبلاد،
للحميمية والعناق، للعطف والوصل،
لكل ما يمتد للعاطفة بصلةٍ..
شيء يستحق أن يعاش في الخيال وما بعده.

***أنا امرأة بحجم وطن .. أنا لا أحد ***

صباحُ الخير،
ثمَّ أمَّا بعدُ:
لا شيء جديٌّ أذكره الآن
سوى أني لستُ الشاعرة العظيمة التي سيخلّدها نصٌّ ما،
ولا ذلك الاسمُ المنحوتُ بلونٍ قاتمٍ على غلافِ ديوانٍ
لم ولن أسعى إلى نشره.

ذاك النشرُ الذي لطالما اتُّهِمتُ بالسعي إليه،
رغمَ اعتراضِ شهيَّتي الكتابيَّة على سُمعته
المشكوك في سلامتها.
"أنا لا أحد"
كما نعتني أحدهم، لأنني لم أجارِ شهيَّتَه الذكوريَّة،
تلك التي لا رجولة فيها.
أُذكّركم، وأُذكّر نفسي،
أنا وكلَّ أبناءِ وبناتِ جنسي المنتمين إلى فصيلة "اللا أحد":
ذات غياب،
ستُدركون ماذا يصنع اللا أحد
في الضفَّة الأخرى من العالم!

تتّهمني أختي أني "البغيضة"
التي تُشعل فتيلَ الحقدِ في العائلة،

وبصوتٍ مرتفع، لا خجل فيه ولا عزاء، أتساءل:
ترى، عن أيّ عائلةٍ تتحدث؟
هل تحكي عن العائلةِ المثقوبة؟
العائلة التي غاب عائلُها منذ عشرين عامًا
عائلةٌ مثقوبةٌ.
من الحقود إذًا؟!

يتَّهمني الأعزُّ إلى قلبي أني مريضةٌ بـ"متلازمة فراغ الليل"،
أصابني قولُهُ في مقتلٍ،
وبصوتٍ خافتٍ، تساءلت:
لماذا لم يُسمِّها "متلازمة الشوق"؟
تلك التي تضرب القلبَ ليلًا،
فتقسمهُ إلى نصفين:
كلاهما يُحبك،
وكلاهُما يبكي على القلبِ الذي يُحبك!

تلك التي تحجب عنك الرؤى،
وتتركك في حيرةٍ
تقتلُ فيك اليقين،
وتُلقي بك تحتَ مقصلةِ الشكِّ.
أتُراه يعلمُ
أن "التآكلَ الذاتيَّ" قاتلٌ مأجور

لا يهاجمنا... إلَّا ليلًا؟!

يتَّهمني أخي أني "عصيَّةٌ على الترويض"،
وبسخريةٍ مفتولةِ العضلاتِ بنبرةِ أنثى يافعة، سألته:
أتعرف نهرَ "العاصي"؟
قال: عرفته مذ رأيتُ عنادَكِ جليًّا
في الأمور المعقّدةِ حدَّ البساطة.
همس لي:
"لن يحتملكِ رجل".
همستُ بالسخرية ذاتها:
سأمنحه جسدي، ليحظى بالنعيم
وأحظى بالسكينة.
حينها فقط، ستحتملني قبيلة!
أظنك الآن، بعدما صرتَ زوجًا،
تعلم جيدًا أنَّ نعيم الجسد يَجُبُّ ما قبله من عناد، يا صغيري!

صباحُ خيرٍ آخر،
ثم أما بعد:

أنا الـ"لا أحد"،
البغيضة، المريضة، العصية... في نظركم.
وأُضيف لكم:

أنا الأصدق، الأنقى، والأحبُّ إلى نفسي.
أنا ابنةُ أبي البارَّة، قبل الموت، وبعده، ورغم أنف المسافة.

أنا خليلةُ أمي رغم اختلافنا.
أنا سندُ إخوتي الصبيان رغم نكرانهم.
أنا البراح.. .لكلِّ المنتمين إلى فصيلة "اللا أحد".
أنا التَّحنانُ المُبالغ فيه،
أنا الـ "لا أحد".
أنا المأخوذة بدهشتي في ذاك الأعزِّ إلى قلبي،
أنا الـ "لا أحد".

أنا امرأةٌ بحجم وطنٍ،
أنا... لا أحد.

***ليل .. ونصف وجهك ***

أرى الآن
ليلًا بنصف وجهك
يستر عورته ببضع نجوم احتفالية.
وخيطين متفقان من الفجر،
كما الهدوء بعد العاصفة.

لا طعم للذة،
ولا رائحة فرح،
ولا للحنين لهفة،
حينما يجنُّ الليل.

أنت الآن حر،
كما أنا الآن حرة..
غير أن الحرية أحيانًا
تأتي بطَعم الفقد.

***أتودد للقطعية ***

أتودد للقطيعة،
كلما تَعرق جبين الضمير،
أو طافت في مخيلتي فكرة الصحو،
أتحدثُ عن الصحو دون أن أمسَّ جنون اليقظة بالغيرة.

أتودَّد للقطيعة،
في الأحايين التي يثبت لي أحدهم فيها فكرة "اللاشيء"،
أنا لا شيء،
هو لا شيء،
الكونُ كله يلتمس اللاشيئية ويتودد إليها
كلما ضاقت علينا الأرض بما رحبت،
أو ضِعنا في متاهات العدم أو القدرية التي يتبعها تمرد،
وأنا أكره التبعية، لذلك استسلمت وطلبت اللجوء إلى بلاد بعيدة لأَسلم.

أتودد للقطيعة
دون أن أخاف جهنم، واستعارها المرهون على خطيئة السهو،
كأن أسهو في صلاتي
وأحيانًا في دعائي،
وأحايين كثيرة في حديثي مع المتورطين في الحب وادعائي المثالية،
وتجاوزي عن حقوقي
ونهب تحرري،

ورفضي قانون الجاذبية إذا ربطت معصمي بوشمٍ يحمل أول حرف من اسم شخص أحبه.
أقرص بلطافة ما بين حاجبيَّ، تقاطِعني هذه الجملة بين تنهيدةٍ واستفاقة
"لعنة نيوتن تلحقُنا حتى في حب الشخوص".
تلحقها جملتي الثبوتيةِ العاطفة "الحب كما الحرب خدعة"،
وأنا أول المخدوعين به ولست وآخرهم.

قد أتحين للسهو أيضًا عن الحياة كلها
إذا هاجمني ملك الموت، وقال بصوته العميق:
"قد حان موعدي."
حينها سأتودد للانعتاق الذي يمتد للقطيعة بكل صلةٍ،
قريبة كانت أو بعيدة، لامتثالها لعبورٍ آمن لبلاد أحَن. هكذا خُيِّل إليَّ، لذلك سألقى الله بنفس مطمئنة.
لطالما كنتُ ودودةً معه إلى هذا الحد
الذي لم يمس يقيني المطلق بشائبة الشك.

هذه المرة تودددت للقطيعة طواعية،
وكنت أبكيكَ إلى الحد الذي أصابني بعلةٍ
وأذكر حديثك،
وتحايلك عليَّ في كل كلمة "أشتاق اليك" بالتجاهل..
حد أني بتُّ أتجاهل الشوق ذاته وأتركه باكيًا
مسجىً على ظله كمن وقع في ورطة.

ظننتُ حزنه عاديًّا، صوت نحيبه شاهقًا "يوقظني ليلًا".
أتودد إليه بالعناق،
وأحيانًا أبكي معه "علينا"،
يذكرني، بكيف كنا!
أذكره، بأين صرنا!
فيُبكيني ويبكي عليَّ،
وكل ما في ذاكرتي من تودٍد وقطيعة "يبكي علينا".

قبل أن يُراق دمي

ولأني لا أريد أن يُراق دمي بطريقة عادية
أكتب لك كي لا أنسَى
ذلك الزمان المحزون الذي جمعنا على حافة المجاز،
لهفته الغافية بين ضلوعي.
أبطئ من ذريعة الحزن الذي بات جليًّا في كل انفعالاتي
حتى لو خُيل إليك غير ذلك.
وأسرع من فرحة غابت عني طويلًا،
فأذكر جملة قرأتها بالأمس القريب
"كنت أظنها أيام وتمضي، فإذا بها حياتي".

قبل أن يُراق دمي
على الطرقات الضيقة التي لم تتسع إلا لتدفق المسافة بيننا بانفراجٍ مؤلم على مرمى المصير.
ذلك الذي لا لون له، ولا معنى سوى الاصطبار.
على خصر امرأة تتراقص بقلب حافٍ على أنات نايٍ لا يهمس إلا التعب،
فتتوب بعد منتصف الليل عند قراءة آخر رسالات الأحبك
وهي تتهجد باسمك في ألف صلاة غائب
لغياب الحب عن دوره الذي لم يخالط دمي بدماء قلبك.

قبل أن يُراق دمي،
لا تقرأ على قلبي الفاتحة قبل أن تنعيه عيناك في آخر الطريق.
دمعةٌ واحدة سخية كفيلة بالربت على كتف شاهدي، ليبكيني اسمي الذي هجرته لأنه لم يلتحق بكنيتك.
نعي تستحقه روح الحب الذي زرعته لك في وريدي،
فنبت على شفتيَّ عطر الكلام
عندما كتبت عنك ولك ملء دموعي الحيرى،
دون أن يمسنا قبسُ البكاء بأذى،
فطمعت وحدي بكل الوجع حد أنّي عشقت الحزن لأنه دلني عليك.

قبل أن يُراق دمي،
ضمني إليك في رحابة حلمٍ لطالما اشتهيته،
واطمس بيدك آثار اليد الغريبة التي لمست مكامن السر بكينونتي قبلك،
وازرع بكل رجولتك بصمتك اللطيفة في رحم القدر؛
حتى تزرعك الأيام في رحم أنوثتي،
فتتلون بسمرتك نُطفي لأصنع من دمائك عائلة،
حفنة صبيان وصبية واحدة وبيت يركض فيه ظلي خلف ظلك،
ليتدفق الدفء فوق أسرَّة جسدك بعطرك المنسكب بهوادة كالنهر فوق غابات جسدي، فيتحول قلبي إلى حدائق ومدن بكرنفالات سماوية تشبه الأيام التي ما تمنيتها إلا معك.
ليتك تُحررني من قيد بلاغتي التي لم أنل منها فرحًا
حتى يراق دمي بين شعراء القصيدة في ساحة الحرف بطريقة عادلة.

*** تحت ضوء القمر ***

أمر بحالة اكتئاب حاد دون أن أبكي..
تجبرني فقط بعض الأفلام السينمائية على استراق دمعةٍ ما،
قد ينتفخ جسدي كتفتُّح وردة التوليب تحت ضوء القمر.
وقد أتعامل مع أوردتي بسادية لكي أمحو آخر أثر لأول حروف اسمك الغائرة في منتصف المعصم.
أحفر عميقًا لكي أتخلَّص من توازني المرتجف كلما تحسستك في صورة جافةٍ تخلو من حرارة وجهك،
لكن أثيره باقٍ كمبرر منمق للبقاء على قيد الحياة.

تغتالني أغنيةٌ ما، صورة ما،
همهمةٌ في رسالة صوتية ألعن فيها كل ما يخصك من رجولة كاملة لم تطأ أعماق جسدي برجفة حميمة.
أمسك رأسي بيدي،
أهزُّه قدر المستطاع لتسقط كل أفكاري المتشبثة بك.
تهرب فكرة النسيان،
تسكن أحد أدراج كومودينو القلب،
تهز أشرطة المهدئات حتى يلتفت انتباهي إليها، لعل ثورتي تستكين لبعض الوقت.
تمتدُّ يدي نحو شريط الدوجماتيل فورت الذي باتت أقراصه فاقدةً للسيطرة على نوبات هلعي.
نصف قرصٍ فقط من الريستولام المدرج ضمن قائمة الممنوعات،
بتركيزٍ خفيف على الوقت، ثقيلٍ على الجسد والذاكرة.

سرعان ما يزول الأثر فتركضَ جينات اشتياقك في دمي،
تختبئ خلف كرات الدم تارة، وتارةً أخرى بين نُطف اللهفة المنسكبة في كل تفاصيلك.
تنتشرُ بشكلٍ مفرط كما الإدمان على الرغبة المتمثلة فيك،
كما تفعل الثمالة بعقول السكارى في حانات الألم.

أسقط فوق ظل خُيل إليَّ أنه لك،
تنتشر آهاتي في الريح كصاعقة،
يلوذ الشجر بذكرياتي، تتنفسني رئة الطريق، تتابعني نجمةٌ حارة في الأفق، تلتقط إحدى دمعاتي لتغسل بها ذنوب الأرض.
تمتد يدي نحو زهور الرغبة،
أداعبها بكل صور الحميمية المتمثلة فيك بتحنانٍ بالغ تارة، وبقوة تجب كل ما قبلها من ثباتٍ مفتعل تارة أخرى؛
فتنتشي جنية الشغف القابعة بأقصى عمقٍ ممكن في مخيلتي، وأحيانًا تلحق انتشاءها ضحكة عاهرة مُرة خالية تمامًا من سكر البراءة الجلية على تفاصيل وجهي.

أشهق حتى يقتلني التعب،
وأنامُ
كمن لم يقترف إثمًا قبل حلمٍ بليد تمحوه نبتة الزعترِ التي فاح عبيرُها كمغفرةٍ لكل الآثام التي لم أقترفها فيك، بضراوة ذئبةٍ تفضُّ بكارة اللهفة على طرف جسدٍ من زمرد.
وأحيانًا أخرى بنعومةِ أنثى عاشقة، تذوب كقطعةِ سكر بعناقٍ دافئ وقبلة حارة.
ويبقى عشقك هو الخطيئة العظيمة التي لا أرجو بعدها مغفرة.

***منطفئة ***

منطفئة:
كامرأةٍ تم اغتصابها سرًّا
وتخشى الإفصاح عن الأمرِ.

منطفئة
كأخدودٍ جفَّ في قلب عاشقة
فقدت حنينها كاملًا
عند منعطف كذبة.

منطفئة
كنهرٍ يخلو من رشقات العاشقين
بحصى التمني.

منطفئةٌ
كليلٍ يُمارس وحدته باكيًا
على شطآن غزة.

منطفئة
كرضيع يبكي -تحت عين الشمس-
وحيدًا دون أن يحنو عليه أحد،
يسأل الله الرحمة بعينه الوجلة.

منطفئة
كصبي فقد ذراعيه وهو يردد
"نحنا بغزة بنكبرش"
بكل طمأنينةٍ وثبات.

منطفئة
كعين إله غض الطرف عما يحدث
بين أبناء الخليقة.

منطفئة
كصبية من بنات الشمس
تحمل من هموم العيش
فوق طاقتها مضروبًا في عشرة.

منطفئة
كسماء بلادي التي خلت من النجماتِ
ولم تضئ منذ أشهرٍ
إلا بقنابلٍ فسفورية.

***تاريخ و ذكرى ***

في صباح الجمعة، الخامس من أغسطس، "برمودا" تحديدًا، السادسة صباحًا.
صنعتُ فنجانَ قهوةٍ خاليًا من السكر،
لأوّل مرَّةٍ أشربُها صائمة،
خالية من تفاصيلك،
شاردة النبوءات، عصيَّة الرؤى.
بين الرشفةِ والأخرى،
كنتُ أنظرُ إلى صورتك في البروازِ الساكنِ
على "الكومودينو" قرب السرير...
السرير الذي لطالما جمعني بطيفك،
فيه وعليهِ اشتهيتُك، وتعرَّفتُ على رائحةِ عطرِ دمك، غيرتِك، ولهفةِ جسدِك كلَّما اشتدَّت بيننا الرغبة في كلِّ شيء، حتى البريئة منها.

ألتفتُ إلى الفنجان بين حينٍ وآخر،
إنَّه الشرود..
بردتِ القهوةُ، لكنَّ قلبي ما زال يغلي... ما زال على حالته الأولى منذ عامٍ مضى.
يخطفني صوتُ "Ghostly Kisses"
الذي يسرقُ لهفتي للبكاءِ على مهلٍ كلَّما غنَّت "Touch"، "Green Book"، و"Don't Know Why".
كتبتُ اليوم عدَّة منشوراتٍ أدبيَّةٍ وهزليَّة،
صفعتُ وجهي أمام المرآة، وضحكتُ، ورقصتُ بقلبٍ حافٍ،

قصصتُ شعري حتى بكيتُه بشدَّة،
ومزَّقتُ الكثير من الصور، لأتجاهلَ حدثًا أحدث في حياتي فوضى.

لم يكن هناك مَن يُلملمُ كسرةَ خاطري سوى اتصالٍ سماويٍّ بأبي المتوفَّى،
ما زلتُ أذكرُ رقم الهاتف منذ عشرين عامًا،
يبدأ بالصفر، وينتهي بتسعة.
كان رنين الهاتف في أذني المتعبة من عويلِ الفكرة طوقَ نجاة،
كنتُ أنتظرُ، بلهفةِ الغريق، أن يردَّ عليَّ أحدٌ،
وقبل أن أُغلقَ الخط، التقطه أحدهم..
صوتٌ لا أعرفه، أو ربَّما خُيِّل إليّ...

"ألو...
بابا، كيفك حبيبي؟ اشتقتُ لك قد عمري.
هالجملة ما قلتها إلا لـ "الرجل الذي أحب" من بعدك.
"عندي كتير حكي ما رح يسمعه ويتحسَّس تفاصيله غيرك".

بابا...
رحل "الرجل الذي أحب"،
رحل غاضبًا، أو معاتبًا، أو نادمًا.
لستُ أدري، في الحقيقة لا أعرف السبب.
ويعصفُ بي الحزنُ لعدم درايتي به.
الرجلُ الذي يعرفُ علَّتي، وكان في وصلهِ الشفاءُ، أصبح قاتلي.

صندوقُ بريدنا أصابه البرد رغم اتّقاده بتفاصيلِ جمالها في البقاءِ عليها سرًّا،
أظنّها حُمَّى الرحيل.
"بردٌ مُتقد" يُصيبُ أطرافَ قلبي، وعينَيّ، وأُذنيَّ
كلّما قرأتُ رسالةً ما،
أو تحسَّستُ طيفه في صورة،
أو سمعتُ تنهيدةً في تسجيلٍ صوتي.
بابا...
هذا المساء، كدتُ أقطعُ شريانًا بارزًا في يدي اليسرى،
ظنًّا مني أنَّه متصلٌ بالقلب.
فصلتني عن إتمام الحدث مكالمةٌ هاتفيَّة،
سمعتُها مصادفةً بين "جُمان" و"باسل"؛
كانت تُعاتبه لتجاهله رسائلها البارحة.

بابا...
ما زالت أمي تراقبني عن كثب،
تشدُّ وطأةَ اللوم كلما فشلتُ في ترويض أنوثتي، وأفكاري، وأمومتي أيضًا.
تدورُ في ذهني أفكارٌ كما الرَّحى، تطحنُ أحشاءَ انفعالاتي.
تتركني تارةً هامدةً بلا حراك، وأخرى شيطانيَّةَ الهِمَّة، لو أنّي سايرتُها لأحرقتُ الأخضرَ واليابس، و"رحلتُ" تاركةً خلفي خرابًا وفوضى عارمة.
بات صُمودي "بسكويتيًّا" بصورةٍ جليَّةٍ لأقاربِنا "العقارب"،
بتُّ لا أقوى على احتمالِ هشاشتي المرئيَّة في "تفاصيلِ ظلي".
بابا...

اشتقتُ إلى زرقةِ البحر في عينيك،
إلى تسابيحِك في أوَّلِ الصباح،
إلى حكاياتك عن "إيمان" و"آمال"، وأحفادك الأقرب لقلبك من الصبيان،
وتباهيك بالخلقة المقدسيَّة في حفيداتك الصبايا.

بابا،
اشتقتُ إلى "الرجلِ الذي أحب"،
اشتقتُ إلى شوقِه، وإلى القوَّة التي أكتسبها من تحرُّره
عندما يُخاطب الغرباء بكبرياءٍ متواضع.
عندما يرتادُ المطاراتِ من قطر إلى نيويورك،
ومن فرنسا إلى المغرب،
ويأتي لعينيَّ بحفنةِ أحلامٍ تشبهنا.

يهزمني حرفُ العطف الواصل بين اسمَينا في رسالةٍ ما،
يقتلني حنيني إلى هذا الوصل
حدَّ أنّي أراه في منامي كلَّ ليلةٍ بوجهٍ غاضبٍ، مشتاقٍ، ولهفةٍ وجلة.

بابا، بابا...
يداهمني صوتٌ مسجَّلٌ لصبيَّةٍ تعمل "Voice Over" في شبكة "فودافون":
"عفوًا، لقد نفد رصيدكم"،
وتنتهي المكالمة.

تاريخ وذكرى ٢

"الثلاثاء، الخامس من أغسطس.. تحديدًا السادسة صباحًا في قلب
-أبيب-، حيث تنام الذكريات على كتف القيظ، وتصحو المواجع بلا مواعيد".

أرخيتُ عنك يدي حتى الأبد،
لم يكن وداعًا دراميًّا؛
لا صراخ، لا دموع، لا محاولات بائسة للتشبُّث بما تساقط.
فقط...
يداي المرتجفتان وهما تتخلَّصان من آخر الخيوط الرابطة بيننا.

كان قد عاد منذ أعوام،
وعدنا نحاولُ الحياة من جديد،
حلمنا،
سافرنا بخيالنا،
خطَّطنا لما بعد الأيام العاصفة.
كان كلُّ شيءٍ يبدو وكأنَّه يمكن أن يُصلح،
كأنَّه يمكن أن يُعاد، لكنّ الحقيقة كانت أقوى من الحب.

المواقف كشفت هشاشتنا،
والخلافات فضحت الاختلافات القديمة التي تجاهلناها بحجَّة الشوق.
حاولنا...

لكنَّنا لم نعد نجدُ وجهةً تجمعنا؛
صرنا نسير معًا إلى لا مكان.

في الأيام الأخيرة
لم يكن قلبي وحده من أنهكته المحاولات،
جسدي أيضًا أرهقته التفاصيل:
ذراعٌ تُزرَع فيها الكانولا بصعوبةٍ،
أوردة ضعيفة ضيقة وهاربة من جحيم الوخز،
مَحاليل تتوالى على مدارِ ساعات،
نومٌ هارب،
عيونٌ مُحمّلةٌ بالسهر وسُكْر الانتظار،
وصوتٌ هزيلٌ، يخرج من حنجرتي متعبًا، صار يحمل في نبرته حزنًا لا يمكن تزويره.

كنتُ أتحلَّل في صمت،
أتساقطُ على مهلٍ،
ولا أحدَ يشعر أنَّني أمارس نهاية قصتنا على أحزنِ ما يرام،
أعيش انهيارًا كاملًا خلف جدارٍ من الكتمان.

رحلنا،
غادرنا دون أن نلتفت،
أطفأنا الأضواء في صمت،
أغلقنا الأبواب والشبابيك،

حطمنا كل المنافذ التي كانت تطل على الحلم،
تركنا البيت فارغًا محملًا بالأطلال.

هذه المرَّة
لم أُقاوِم،
لم أترجَّ،
لم أفتّش عن أثره في الرسائل أو الأصوات، أو حتى الأمنيات التي كانت ما تزال تكبر في صدري.

هذه المرَّة،
أرخيتُ عنه يدي إلى الأبد.
ليس كرهًا،
بل حفاظًا على ما تبقَّى منّي.
أردتُ أن أحبَّه من بعيد،
بالصورة الأولى نفسها.. بالوهج القديم نفسِه،
أن أضعه في مكانٍ آمنٍ داخلَ قلبي،
مكانٍ لا أصل إليه كلَّما ضعفت.

أردتُ أن أظلَّني.
ألا أخونني من أجل البقاء معه،
و ألا أخونه من أجل الفكاك منه،
بل أتركه حرًّا كما عرفته في البداية.

دعوني أعترف:
الحبُّ لا يكفي دائمًا،
والمُحبُّ لا يعني بالضرورة أنَّه المنتمي إلى رحلتك حتى نهايتها.
في الحقيقة، نحن من منحنا الحب رمز الأبدية،
فبعض الأشخاص سيبقون في طي الذاكرة،
مجرَّد فصول
جميلة، حارَّة، وموجعة،
لكنَّها لا تصلح لأن تكون غلاف القصَّة.
"اطمئن.. لقد أرخيتُ عنك يدي، حتى تطوى الأرض في يمين الله".

***أسافر .. في صوته ***

يؤلمني أن تكون معضلتي ذاكرتي،
أذكر صباحات الحب
وأنا أسافر في "صوته"
كمواسم العصافير التَّعبة من ترحالها البعيد.

"صوته"
يطحنُ أحشاء الشغف كالحلوى،
كما اللذة المهاجرة من حنجرته إلى زوايا صباي.

"صوته"
أغنيةٌ شجيةٌ يصبها في كأس روحي،
يخبز أوردة الصمت المدهونة بردًا على نار هادئة.

"صوته"
ملأ فراغات الرئة بعبق بنفسجي اللون،
حلم شهقة دافئة تمارس مسًّا خفيفًا على القلب، ثقيلًا على الذاكرة، يتمدد في خلايا رأسي حدَّ أنه يزج باتزاني على حافة السقوط،
يلوكُ ما تبقى من صمودي البسكويتي
بنهنهاته التي ملأت معدة الفراغ الخاوية من الصبر بالسكر.
أقطع الإبحار فيه عومًا ليصحو نهر أنوثتي من سباته، ويبدأ في الجريان على ضفاف اللذة.

"صوته"

شاعرٌ مجنون يترنم باسمي على أنات آهاته، كسكرةٍ حلوة تكسر حواجز السكوت بالعربدةِ في ملكوت اجتياحه.

"صوته"

العمق البعيد الذي يبلع زوايا الفراغ لتمتلئ الأرجاء سردًا.

هو حبكةٌ غرامية شديدة اللذة كلَّما رددته الشفاه كالصلاة.

*** سكرة في خفقة .. حرف ***

قالها صديقي رستم:
"أسوأ ما يمكن أن يصيب الإنسان أن يموت حيًّا"،
وأنا متُّ حية والسلام.

يقول منير:
"دول عايروني وقالوا لي يا أسمر اللون يا لالي"،
أذكر جيدًا أني عايرت قلبي بسمرتك،
فعايرني باشتهائك.
تبًّا للشهوة الغافية بين ضُلوعي، تشتاقك كما لم يفعل بي الشوق سابقًا!
أتعلم،
" ليس هناك شعورا أجمل، من الموت شوقًا"

تقول بنت مستغانمي:
"ليس هناك أجمل من أن تلتقي ضدك".
وأنت كنت ضدي الذي أحببت، هادئ ورصين،
وأنا اللعوب التي مارست على مخيلتك كل فنون الشغف، وكانت لعبتي "الصيام"؛ صائمة عن كل رجال الكون ما عداك.
يؤنبني الرجل الذي تزوجت كلما اتقدت شهيته للفراش بصحبة اللبؤة التي تتلبسني، كلما اجتاحت لهفته الرغبة.
يتناسى أني سلبته حق المضاجعة بعد حادثة الزنا الأخيرة التي ألقيت عليه القبض فيها متلبسًا بعانة امرأة أخرى تدعي المثالية.

تبًّا للمسمى المذكور أعلاه، لطالما بقي الحب غافيًا في سباته الأخير!

تقول أناي الممسوسة بك:
"عليَّ الحصول على فاكسين ضد العلة التي أصابتني بك".
لقد خلقت بك كونًا،
وادَّعيتُ فيه القداسة على غرار كل ما سبق من أكوان لم أخلقها في خيالي، لكنها نُسبت إليَّ عمدًا دون أن أريد ذلك، وبدوري قبلتها لأنها تليق بكينونة الـ "Lady" التي أتعاطى معها، صباح مساء، أمام المارة والعابرين ومصوري اللوحات الإيروتيكية في حسابي الإلكتروني المُطل على البحيرة الزرقاء.

في النهاية، أعترف
أني أحببتك طيلة الخمسمائة سبعة وأربعين يومًا كما لم أحب أحدًا قط، وما زلتُ أفعل،
لكني بتُّ أضع هذا الحب جانبًا،
بعيدًا عن مواقد لهفتي.
وضعته في درج رغبتي السرية،
وكلما اشتدت لهفتي إليك، فتحت باب السر، وقبلتُ صورتك الأخيرة على إنستجرام، وعدت من الباب ذاته،
وأنا أوصِدُ كل منافذ الشوق خلفي، تاركةً ظلي غافيًا فوق ظلك على الوسادة ذاتها التي جمعتني بك في حلم أحبه.

*** هاربة من الانبوكس***

أرسلت إليك قصيدةً
حفظوها في الساوندكلاود باسم "هاربة من الإنبوكس".
لست أدري لمَ هربت القصيدة، ولمن كانت،
ولماذا تذكرتك منذ الوهلة الأولى لفرار النص من زنزانة الجرامافون، مطالبًا بلجوء آمن إلى صدري بلا إبداء رأي أو تساؤل!

فتحت ذراعيَّ للنص
دقيقة وثمانية وأربعين ثانية،
رغم قصر قامته،
كان قليلًا على الوقت، كثيرًا في قلبي.
"وجهكِ صفحة القمر فوق انعكاس البحيرة"
رددتها مرارًا بعد صمتك المُربك حد أنني ارتعشت،
لم أرتعش خوفًا،
بل كانت لذة الصدى تسري في عروقي فانتشيت.

وصيتي... اسمكَ

"نحن لا نكتب لنُقنع أحدًا، نكتب لأننا لا نعرف كيف نقول الأشياء بطريقة أخرى".
- أحلام مستغانمي.

متورّطةٌ بكاملِي؛
في الشِّعرِ والألوان،
في القوافي والأوزان،
في القصائدِ القاتمةِ وناصعةِ البياض،
في الموسيقى والقُرآن،
في السَّهْوِ والذِّكرِ والنِّسيان،
في شعورٍ يُحَسُّ ولا يُقال،
يُكتَبُ ولا يُقرأ،
يُسمَعُ في أُغنيَةٍ عبرَ الراديو،
وعبرَ الجرامافون،
وليسَ في الأوبرا أو على المسرحِ المكشوف.

مجازًا يا أناي
لا أودُّ أن أفضحَ الكِتمان،
فَيَفضَحَنِي السِّرُّ ويجهشُ بالبكاء،
سيتحرَّشُ الحِبرُ بحنجرتي وصوتي،
ليقرأَ اسمَكَ في اللغاتِ المخبَّأةِ بيني،

وبين ولَعِي وهَلَعي،
في الآهاتِ واللذَّات
التي تتماهى مع موسيقاها..
موسيقى البُكاء.

بتُّ أحفظُ ملامحَك جيّدًا،
رسمتُها بالأزرقِ والرُّصاص،
فِتنةٌ في مُنتَهى الغواية... تخيَّلْكَ.
كتفُك، صدرُك، جسدُك بكاملِه
جمرةٌ في ذاكرةِ امرأة.

في رأسي شعراتٌ بيضاء،
ثلاثةٌ ربَّما،
أنا أكبرُ في العُمر، لا في القلب.
امرأةٌ في أواخرِ عقدِها الثالث
تُشبهُ حوريَّاتِ البحرِ وحورَ الفردوس.
هذهِ أنا بمنتهى التواضعِ والغُرور،
ضدَّان لا يجتمعان،
لكنّي استطعتُ وحدي أن أجمعهما،
كما نحن "أنتَ & أنا"،
نارٌ وماء، دفءٌ وبرد، خطيئةٌ وتوبة.
حكايتُنا غريبةٌ، لكنها الأصدق،

وستبقى...
إلى يومٍ يُبعثون.

وصيَّتي:
قبلَ أن أُصابَ بالزهايمر،
وأنسى كلَّ الوجوهِ إلَّا وجهَكَ،
والأسماءَ إلَّا اسمَكَ؛
ذاكَ الذي سأنادي به حفيدي الأوَّل،
وأبتسم بلا خجلٍ،
أنَّ الاسمَ الذي ليسَ له يخصُّني بشدَّة،
ويخصُّه بعنفوانٍ حميم،
لأنَّ جدّتَه تخشى أن تفقدَ،
من زفراتِ عمرِها المنسي، آخرَ ما تبقَّى وهي تردد:
" اسمُكَ تسبيحةُ روحي، وسَيبقى"

وأقولُها مُعلنةً:
لقد غسلتُ بكَ رُوحي،
من كلِّ آثامِ الحياةِ وذُنوبِها؛
فلا تسمحْ للقدرِ
أن يجعلكَ نَدبةَ قلبي الأوجع.

أمور أفعلها وأنا أفكر فيك

أغلق هاتفي، لا هربًا من العالم،
بل شوقًا إلى صوتك الذي لا يأتي، ولن يأتي.
أجلس أمام فنجان قهوتي -أُحدِّثك-،
أحكي، أضحك، وأصمت.
أنظر إلى الكرسي المقابل،
"فأراك"، لا جسدًا،
بل حضورًا يُشبه الغيم حين يمرُّ بطيئًا فوق نافذتي.

في الليل،
حين يُراودني الحنين على هيئة لحنٍ مألوف،
أمدُّ يدي إلى الوسادة،
أمسك كفكَ
كأنكَ هنا، كأنكَ موجود،
كأن هذا الغياب لعبةٌ سنستيقظ منها معًا.

***للحلم أجنحة ***

أحبكَ
بالطريقة التي عاف عليها الزمن.
بحفظ تواريخ زيارتك إلى القاهرة،
وكل توابِعها من تواريخ المغادرة،
في مدونتي السرية بنوباتِ حزنٍ،
على مقياس ريختر.
بمنحِ صورك ديمومة العناق
كل ليلة قبل النوم،
والاحتفاظ بها تحت الوسادة،
فتأتي بك أحلامي على جناحِ لهفةٍ حارة.
أتعلم،
" للحلم أجنحة، بينما للقدر مخالب"
لذلك سرعان ما تحنو علينا الأحلام في خلوات الخيال،
بينما القدر قاسٍ يقتلنا بحرفية ملائكية السطو.
نحن أهل الصبر والحرمان
نستغفرُ الرب من ذنب ملائكي الصفة في محراب فكرةٍ بريئة إلا من فتنةِ العناق بكل صفاتها المقدسة.

منذ يومين بكيتك كثيرًا،
واستيقظت هامدة الجسد،
فاطمأنَّت عليك عيني

بعد أن أصبحتُما خصمين "أنت وقلبي"؛
هو يُصر على الإبقاءِ عليك في أعماق أخدوده
وأنت تُصرُّ على إبعادي والزجِّ بي خارج حدودك.
أود أن أستريحَ من لعنة اشتهائِك يا "فاكهتي المحرمة"،
لعلني أستريحُ من محاربة القدرِ فيك،
يا "حيلتي الدفاعية"،
بتخطي التوسُّل والتودد لكل ذي قدرةٍ تعلو قدرتي على التخلي عنك، بالطريقة التي لا تعرف سوى الاستحالة،
وكأنك جزاء الصابرين الذي أنتظره
بعد عشرين عامًا من الحزن،
وكأنك قميص يوسف الذي به تبرأ كينونتي ونفسي.

أنا حزينة، حزينة لأنك لست هنا،
لأني لا أزين لأجلكَ بيتي،
لأني لا أتجهز لأجلك كل ليلةٍ في غرفتي،
لأني لا أحصل عليك إلا في حلمي،
كم هيَ جميلة بك الأحلام
وحزينة دونك الدنيا!

*** ممتن أنت ***

ممتنٌ أنت لعُزلتك،
وأنا ممتنَّة لكل الحزن الذي لم أتقنه إلا معك.
العزاءُ الوحيد في فكرة الغياب أنَّ اسمك مدسوسٌ بفجوة الناي بيني وبين ذاكرتي.

يبكيني "المزج المرهق"،
سمعتُه في السادسة صباحًا على الفطور.
نهرتني ابنتي بدلالِ طفلةٍ محبة وهي تُلقي القبض على دمعةٍ سالت على خديّ، هاربة من جحيم تحفظي.
"يوبشي، أنا اللي عم يبكي من ع بكرة الصبح!".
كانت تُلقي القبض على النوتيلا، التي كادت تنتحرُ على حافة التوست بسبابتها الصغيرة، وهي تردد بنهمٍ طفولي:
"رح أطلب من جنيَّة الأمنيات تزور الماما اليوم بالحلم".
صغيرتي لا تعلم أن جنية الأمنيات انتحرت على حافة حلمٍ أسمر.

أنا الآن مجموعةُ قصائد في أواخر الثلاثين؛
قصائد لا تُقرأ،
قصائد لا تُحكى،
قصائد لا عُنوان لها،
قصائد لا تُنتهك بالصمتِ الطويل إلا على حافة قبلتكَ التي لن أحظى بها في ميلادي القادم.
وأنت تهمِسني بعتبِ قصيدةٍ لا مكتوبة،

ولا مقروءة، لكنها تُحسُّ في دندنةٍ حميمة،
بينما نُعدُّ عشاءنا وحيدين، مطمئنين لعزلتنا،
نتشارك الموسيقى ذاتها، وبضع قصائدَ بيضاء، سمراء، وليلكية مع الظلال،
وأطلال الياسمين، والفودكا بهدوءٍ رحيم.
هكذا، بكل بساطة.

لو كنتُ مجازه

كان الشاعرُ الوحيد
الذي تمنيتُ أن أقرأ له بنهم
يسكرني عبق أحاديثه المنكهة بالحب،
"ماذا لو كنتُ بين أوراقه ذات يومٍ قصيدة؟"،
يَضمني قدر المستطاع في حركات اللغة
فتنشأ بيننا حميمَية العطف
ذلك الواصل بين موعدَين،
بين عناقَين، بين قبلتَين، وبين قلبَين في قصة واحدة.
إذا حضرت الشدَّة، كانت واصلة بين جسدَين،
يشدُّ في حضرتها على جسدي،
يتسلل بقوة ناعمة، يزرع نفسه في نفسي،
يمحو مرارة ما اقترفته الكسرة من جُرمٍ في قلبي،
يحدثني دائمًا بصيغة الجمعِ ويتخلى عن الفردية.

ماذا لو كنتُ مجازه الوحيد؟
شجرته التي صنع منها صناديق أسراره،
سريره الذي يضم وحدته قبل جسده،
لهفته التي يخفيها في تورية شغفه،
ناره الكامنة في جُملاته العاطفية،
شجنه العفيف وهو يُضاجع حزنه،

يتكئ بخفَّة على فخذ الأيام
ويسند رأسه المثقل بتخيلي على كتف الوقت،
يمنحني كل ما تبقى من ساعات عمره
فأكون له العائلة، والبيت، وشغله الشاغل، وكل الدنيا.

يسرق من رحم القدر نطفة أمل
يدسُّها بخفة في خلوات عمري
فتزهر الأسرار، وتتكوَّر لهفة الحرمانِ على نفسها،
وأُصبِح نقطته الختامية في قصته الخيالية
بعيدًا عن واقع شرهٍ وصائم.

الوانك المتعددة

أتراه ما زال يقرؤني؟!
أم عاف قراءتي، من الداخل والخارج؟
حَمَلَ كُرَاتِهِ الخضراءَ والصفراءَ و البنفسجية،
وغَادَرَ بِكاملِ لهفَتِهِ.
أوصَدَ البَابَ خلفه برفق،
وتركَ اسمَهُ وحيدًا بجوارِ صورته.

يستَتِرُ خلفَ لوعةِ الأزرقِ،
ويستِرُ لهفَةَ خافِقِهِ الذي تفضَحُهُ رائحةُ عطرهِ في حُلمٍ.
هل سيَجلبُ لي التَّمرَةَ؟!
أم ستفوزُ بِها امرأَتُهُ التي رَبِحَت كُلَّ شيءٍ؟!
خَسارَتي أعلَمُها جَيِّدًا؛ أربعُ سَنواتٍ من الحُبِّ
و "طِفلٌ يلهو بالطابة في عَالمِ البرزخِ"،
وعدةُ أحلامٍ من عناقٍ وفِتنةٍ تراودُ القلبَ عن ثباتهِ كلَّ لَيلةٍ.
لم يخلُ السريرُ من أَثَرةِ البارحةَ،
ولم يخلُ جسدي من فِتنةِ اشتهائهِ.

فإن كنتَ ستُعيدُني إلى ما كنتُ عليه،
فلتأخذ مني كُلَّ شيءٍ وأعدني إليَّ كما كنتُ؛
لا يَهفو جسدي إلى نشوةٍ بعد حلمٍ،
لا تُحاوطني الذاكرةُ بحميميةٍ لا صِدقَ فيها ولا ثقةٍ،

أعدني إليَّ جامدةً
أغرسُ أظافري في عنقِ الوقتِ
دونَ أن أَنهشَ منه لهفةً خاطفةً تسحبني إليك،
أعدني إلي فارغةً من التمني،
إلى الفقدِ الذي لا يشعر به أحدٌ.
لا تترك لي اسمَكَ مجردًا،
لأني لا أحتملُ هذا الألمَ.

*** كما تهدأ المدن ***

ثم هدأتُ؛
كما تهدأُ المُدُنُ بعد العاصِفةِ،
ليس لأن شيئًا تغيَّرَ،
بل لأنني تعِبتُ من العِراكِ مع الظلِّ.
أضعُ الموسيقى بصوتٍ مُنخفضٍ،
أرتبُ كتبي، أعدُّ قهوتي، أغيّرُ الشراشفَ وعطرَ البارحةِ،
فأتذكركَ -بعنفٍ أشدَّ-، يعاندني قلبي و -يحنُّ-،
تعاندني ذاكرتي،
تسحبُ الصورَ من عنقها متتابعةً إلى شاشةِ العقلِ.
تبثُّ الدفءَ في قلبِ امرأةٍ تنامُ بلا انتظارٍ،
تستيقظُ بلا توقعٍ،
تمشي في يومِها كمن نَجَا من نفسِه للتوِّ.
كمن نَجَا من أثرِ مسٍّ ينتمي للعنةِ حبٍّ لا يموتُ.
بهدوءٍ، بحذرٍ، بشيءٍ من الجمالِ المتأخرِ،
الذي لا يُرى، إلا حين يُفقدُ.

***استمع للموسيقى ***

استمع إلى الموسيقى،
أو اشرب نصًّا مهيبًا مسكوبًا في كأس روحك بصوت Katlesh.
اخلطه جيدًا مع قطعة موسيقية لـ sokoloff،
أو استحضر روح yanni في سيجارة محشوة كلما اجتاحك الغضب.
تشرب قهوتك مُرة،
ارقص فوق حطام زجاجة الواين على أرضية خشبية،
وكلما شعرت بالوخز في قلبك، ابكِ،
عض على شفتيك حتى النزف،
اضرب بيدك عرض الحائط،
أو دعكَ من كل ما سبق، ففي هذه الأمور سادية.
ابحث عن جنازة ما،
لامرأة لا تعرفها،
تركت خلفها صبيتين بعيون عسلية وحفنة فتيان وقطة،
ذاع صيتها في الجموع بسيرة حسنة.
اذكر والدك المتوفى،
وجدك الغائب منذ قرن مضى،
وأقاربك العقارب،
حتمًا ستبكي كما لم تفعل سابقًا،
لأن للبكاء -كما أخبرتني-
"جلالة وقدسية ومراسم"

رقصة الفلامينجو

هكذا أحببته في كل الأشياء والأماكن،
أحببته حين كان البحر مجتمعًا
وعندما تفرقت عني الموانئ.
أحببته حينما ضحكت ياسمينةٌ في الشام،
وعندما بكت قنبلة في سماء غزة.

في الحقيقة، لم تجثُ ذاكرتي على أطلال ما إلا عندما أحببت رجلًا كان في الوصول إليه استحالة.
وبصوت مرتفع، تعلوه بهجة قصيرة العمر، أردفت برقصة خفيفة على أطراف أصابعي:
"أود أن ارقص الفلامينجو".
أدندن أغنية عذبة في ساحة تعج بالفقراء فنضحك معًا ملء سخرية القدر من أوضاعنا المنهكة قبل أن نتطارح الغرام جهرًا وسرًّا، لأن في الأمر حميمية تشبه العناق لبعض الوقت.
نواصل البحث من وإلى السرائر،
نضاجع فكرة أسيرة في تفاصيل أحدهم،
نشعل شغف الجسد قدر المستطاع،
نشرب القهوة بأجساد نصف عارية تحت الشمس،
أترك لأشعتها تفاصيل الحمرة المسترسلة فوق جلد امرأة مثلي دافئة القلب،
"لم ترضع أطفالها الكآبة"

دون استعارة للكلمات،
دون استعارة للتفاصيل،
دون استعارة لحدث ما،
دون استعارة للاستعارة ذاتها..
هكذا، بكل براءتنا التي تخلو من البراءة، نلتمس اللجوء إلى أأرواح المحبين قبل أن نفرط في الشرب من قناني النسيان،
قبل أن نكسر المزهريات على الحائط دفعة واحدة..
قبل أن نرى روح الرفاق الذين أحببناهم، متعمدين كل الحب، تحلق خلف غيمات لا تعرف العودة..
قبل أن ينساب الزمان في علب الأماكن التي لطالما طالتها الذاكرة بسوء، لأن للموت رائحة الموت، ولا شيء غير ذلك.

لا بأس
أقولها خالصة " بينما كل البأس في قلبي"
أقولها بضعف مهيبٍ، بروح بسكويتية لها تفاصيل لذيذة رغم ضيق الوقت ومرارة التفاصيل،
حد أني إذا اصطدمت بوردة قد أتفتت كحبة سكرٍ قبل أن تصل بتلاتها الأرض.

*** أعجز عن الرد ***

عندما يسألني أحدهم عن حالي أو عن حال قلبي،
أكتفي بحمد الله والثناء عليه،
"أنا بخير"، ربما،
أقولها غير مُطمئنة ولا مُطمأنة،
أعيد صياغة الأشياء
بعد أن عجزت عن صياغة سنوات عمري،
أكتب كثيرًا،
بعض النتائج رديئة كقلم حمرة رخيص يكشف عورة القُبل،
والبعض مدهش حد الشفافية،
لكن أكثرهم مصداقية " فاضحٌ يا عزيزي "

لدي صداع يتربص برأسي منذ يومين،
أرق يلعب النرد بمخيلتي وأفكاري.
تعرفت على القلق في سن السابعة،
اعتدت النوم بعد صياح الديكة،
والاستيقاظ قبل فرار الشمس ببضع ساعات.
كرهت النوم، منذ تحسست فخذي يدٌ غريبة وأنا في أقصى عمق ممكن للسبات.
صدقًا، كان أثرها جائرًا،
حظى بملكوت راحتي كاملًا، وباع روحي للتعب.
الثمن كان بخسًا والبيعة خسارة.

ذلك شعورٌ كأنه البارحة،
دَعك من ذلك.

في الآونة الأخيرة، اعتدت عادة غريبة
منذ أحببت رجلًا ليس بالجوار،
وربما لن يكون أبدًا،
أعد الفطور لشخصين،
القهوة لشخصين،
الأحاديث لشخصين،
الهوامش لشخصين،
الأيام لشخصين،
الاحلام لشخصين،
الحزن وحده لشخص واحد
مقسوم إلى نصفين، نصف هنا ونصف هناك، في بلاد بعيدة.
دعك من الحزن أيضًا،
في الحقيقة كلنا حزانى، ولكن كلٌّ على طريقته.

كل ما في الأمر أني أحاول أن أقول صباح الخير
خالصة للخير، ليس ما عداه،
وكل الخير يكمن في التعافي.
سنتعافى يومًا ما، هكذا أَعدُ قلبي كل شروق شمس،
ولكي نتعافى في لحن القول أيضًا سأخبرك سرًّا:

وأنت تغادر باكرًا ذاهبًا إلى عملك،
أو لاحتضان وسادتك، لتنال من النوم ما تيسر بعد معاناتك النهارية،
وأنت تذهب للبحث في مكتبتك الموسيقية،
لتشاركني أغاني الروك آند رول،
بينما تستجمع كل طاقة ذكرياتك لتقص عليَّ حكاية عن أغنية بعينها، أو عن فريقٍ أدمنت الاستماع إليه،
لا تقل لي: "أفوتك بخير"،
تلك جملة حقيقية جدًّا وعميقة،
لا تحتمل المجاز أو التأويل،
أقواسها حبلى بحزن كثيف، بل الكثير من سالف الذكر، وكأنها وداع لا تعقبه عودة،
وأنا أكره الوداع رغم أنه الأصدق.
في الحقيقة،
هو الأكثر تجذرًا في أعماق الذاكرة.
الآن يسعني أن أقول:
"صباح الخير أيها العالم"،
خيره وشره، حلوه ومُره.

طبطبة حميمة

تقولها كطبطبة حميمية في أولِ اليومِ،
تمسح عنْ قلبها المنهكْ غبارَ الحزنِ،
وترسلُ على عجلِ ابتسامة باكية إلى عيونِ الشمسِ.

تبسمُ بريقَ عينها الخافتَ
جملة خفيفة على روحها التعبةِ:
" العينُ التي ما زالتْ تحملُ شغف الطفولة، بريئةٌ من خطيئةِ النسيان"

تصنعُ القهوةُ،
تتجهزَ لمهامِ اليومِ،
وتنسى وهيَ تلقي تحيةِ الصباحِ
على جارتها المشاكسةِ، وحارسِ العقارِ،
وسائقِ التاكسي، أنها بكتْ البارحةَ
"كما لمْ تفعلُ من قبل"

صباحِ الخيرِ أيها العالمُ؛
خيرهُ وشرهُ، حلوهُ ومره.

الباب السابع

هي و هو

"بين صوته وصوتها حكاياتٌ من السُّهاد، وطَقطَقةٌ من احتراقِ روحٍ أَحبَّتْ".

صوتُها:
أكتُبُ إليكَ كما تُكتَبُ الوردةُ على نَسيمٍ عابِر،
بخِفَّةٍ تكادُ تُخفِي أثرَها، وبَحنينٍ لا يَجرؤ على البَوح.

صوتُه:
أكتُبُ إليكِ وأنا أراكِ في عَيني كالماء،
لا يُمسَك، لكن لا يُستَغنَى عنه.
"لم تكوني هنا " ومع ذلك كنتِ في كُلِّ مكان.
قُلتُ لنفسي: كيف أُخفِيكِ وأنتِ تُقيمينَ في دَمي؟

صوتُها:
كأنَّني لا أعرِفُكَ،
كأنَّ اللِّقاءَ بينَنا يَحدُثُ للمرَّةِ الأولى.
أُخفِي اسمَكَ في قَلبي،
وأترُكُ الكَلِماتِ تَتَسَلَّلُ عَمياء.

صوتُه:
وأنا أُجيبُكِ كغَريب،
أعرِفُ أنفاسَكِ بينَ السُّطور،
لكنِّي أَتَظاهَرُ أنِّي أبحَثُ عنكِ.

أيُّ لُعبَةٍ هذه؟
أن نَتَظاهَرَ بالجهل، ونحنُ مُمتَلِئونَ بالمَعرِفَة؟

صوتُها:
اللُّعبَةُ تُنقِذُني مِن وَزني،
مِن تاريخي معَك.
حينَ أُنادِيكَ بلا اسم،
أُصَدِّقُ أنَّنا نَبدَأُ مِنَ الصِّفر.

صوتُه:
حينَ أستَمِعُ إلَيكِ،
أُدرِكُ أنَّ المَجهولَ ليسَ مَجهولًا،
إنَّهُ وَجهُكِ الذي أَحفَظُهُ أكثَرَ مِن وَجهي،
وصَوتُكِ الذي يَتَكرَّرُ في رَأسي
حتّى في صَمتي.

صوتُها:
فَلنَستَمِر إذن،
دَعنَا نُكمِلُ الحِكايَةَ وكأنَّنا لا نَعرِف،
كأنَّنا ضَيفانِ في هذا الليل،
كأنَّ المَسافَةَ أوسَعُ مِنَ الحَنين،
وأقرَبُ مِنَ اللَّمس.

صوتُه:
لكن لا تَنسي؛
إن رَفَعنَا الأقنِعَةَ،
لَن يَتَغَيَّرَ شَيء:
أنا أعرِفُكِ،
وأنتِ تَعرِفينَني،
حتَّى في العَتمَة.

صوتُها:
اقتَرِب،
لا نحتاجُ أسماءً الآن،
دَع أنفاسَكَ تُلامِسُ عُنُقي
كأنَّها اعترافٌ خَفي.

صوتُه:
أضُمُّكَ إليَّ،
تلتفُّ ذِراعايَ حولَ جسَدِكِ
كما يلتفُّ الليلُ حولَ أسرارِه.
أشعُرُ بِرَجفَةٍ تَسري مِنكِ إلَيَّ،
كأنَّنا نتقاسَمُ الرَّعشة نفسها.

صوتُها:
دَع جَسَدي يذوبُ في صَدرِك،
ويَدي تَبحَثُ عن دِفئِك،
كأنَّها تَعرِفُ الطَّريقَ منذُ زمن.

صوتُه:
أُزيحُ شَعرَكِ عن وَجهِك،
وأترُكُ شَفَتي تَقتَرِبُ بُطئًا
حتّى يَضيعَ الحَرفُ الأخيرُ
بينَ فمَينا،
ويُصبِحَ الليلُ كُلُّهُ
شَهقةً.

***صوتان ***

ليس أوجعَ من أن يلتقي صوتان
بعد انقطاعٍ طويل،
ويتحادثا برسميةٍ تامة.
"مرحبًا" لن تُعادل: "أنا عطشى لصوتك".
و"كيف حالك؟"
لا تقتربُ من كلِّ "اشتقتُ إليك "مخنوقة في عمقِ الروح تذبح.

عزيزي الذي لا عزيزَ بعده،
أنتَ تعلم أن العالمَ أوشك أن يُطوى،
وأنا وحدي
أُحدّق في نهايته،
كمن يترقَّب لقاءً وعده اللهُ في تلاوةٍ مقدَّسة.

ستجمعُنا الضفَّةُ الأخرى،
في بيتٍ لا تُغلَق نوافذُه،
يطل في الليل على أنهار من خمر،
وفي الصباح يعانق وجه الله بين تلال الفردوس.

إن سبقتني، فانتظرني عند الباب،
فقلبي ما زال يمشي إليك

محمولًا على دعوةٍ لن تضلَّ.
وإن تأخَّرتُ، فاعذرني،
فالطريقُ في الدنيا موحش،
وخطاي مثقلةٌ بالخذلان.

سلامٌ عليك،
إلى أن نلتقي
في زمنٍ لا تُخطئ فيه المواعيد،
ولا يكذب فيه الحب،
ولا يغدر فيه الانتظار.

موعدُنا
عند بوَّابةِ الصبر،
حين تُطوى الأرضُ في يمينِ الله.

***ضلع الرغبة ***

بعض الكلمات تخرج من ضلع الرغبة،
تتماوج بين الحنين والجنون،
تمنح الجسد اسمه،
والروح خلاصها المؤجل.

بعض الكلمات لا تُقرأ، بل تُرتشفُ
كسُكْرٍ ناعمٍ يسري في الوريد،
يثمل الصمت،
ويترك على الفم أثر قبلة
لم تحدث،
لكنها تُوجِع.

هي و هو**

هي: عليك أن تعتاد عدم قضاء يومك كاملًا في حضرتي.

هو: إن كان هذا اليوم لا بد آتٍ،

فدعيه يأتِي كما الموت، بلا موعد.

هي: لا أحب أن أغادرك كما يفعل موت الفجأة،

أود أن أمرض بك أولًا

وأتعاطى جرعات من النسيان لا تجدي نفعًا.

أود أن ألزم الفراش معك، وأتهاوى شيئًا فشيئًا.

هو: أتمنى للمرة الأولى والأخيرة أن يصمت وجعك الشهي عن الكلام.

انقضت بضع دقائق في صمت دافئ، ثم أردفت في سخرية:

هي: أود أن أنام في عينيك ساعات طويلة، ثم أيامًا عديدة،

وأستفيق فجأة على أصوات الحاقدين المتهامسين حولي "حرااام، أيامها معدودة"،

ثم أبتسم وأنا أرفع لهم إصبعي الوسطى وأذهب معك في غيبوبة بإحدى الجزر النائية، يضعونني من أثرها على أجهزة كثيرة لاقتفاء أثر نبضي المتصل بأوردتك.

وبعد عدة أشهر، يقولون ماتت إكلينيكيًّا، وباتت فارغة إلا منك.

ثم يتم دفني في قبر مجهول، خلف قلبك، بشاهد أبيض يحمل قلبًا أحمر وسهمًا،

وهكذا ينتهي الأمر خطوةً خطوة،

هذا هو أفضل موت فجأة،

حتى يكون معك وقتٌ لتبتاع سترة ماركة وكرافات حريرية سوداء، وعطرًا أنيقًا يليق بحضورك عرس جنازتي الفخمة.

هو: قالت لي عرافة غجرية حلوة ذات كذب أبيض: إنَّ هكذا موت لا يأخذ سوى الجميلات.

هي: أود أن تصدق أنت في كذبك، ليصدق كذب تلك الغجرية الحلوة.

أبعد من المدى

تقول : هذا البحر من عيني.
هذه النوارس كانت ذات حب نبضة في قلبي.
هذه السفن من ضلوعي،
وأشرعتها حلمي.

يقول: هذا الرمل مني، أو ربما أنا الذي كنت منه. عليه اجتمع آدم بحواء فكانت الخليقة.
هذه الظلال الغافية على الطريق كانت نظرة هاربة من وداع جاحد؛
أحدهم نسي ظله، والآخر رحل دون ظل يقال إنه مفقود.

تقول: متى تفقد إيمانك بالأماني؟
يقول: أفهمك بغير لسان.
* أجبني دون ذكر الموت.
يقول: لو تعرفين إلى أي مدى أصدقنا!
تقول: أبعد من المدى.
يقول: نحن أيضًا أبعد من المدى.
يقولان: نحن المدى.

***صلاة العشق ***

هي تقول:
لم أعد أراك رجلًا فقط... أراك حياة كاملة.
حضورك ليس جسدًا يقترب، بل روحًا تُنزِل السكينة في قلبي،
كأنك وردةُ الدعاء حين تُفتح في ليلٍ بارد.

أنا لا أريدك لتملكني، بل لتوقظني.
كلّما ذكرتك، اتّسع صدري كمن يسمع اسمه في صلاةٍ سرّية.
فيك ما يُشبه السجود... خضوعٌ لا يُذلّ، ولذّةٌ لا تُفسَّر.

تعلّمت منك أن العشق عبادة،
وأن القرب منك لا يُشبِه قرب أحد،
ففيك ترتعش النفس، ثم تهدأ،
وفيك أرى الله جميلًا كما وعد.

حين تناديني، ترتجّ أضلعي كمسجدٍ سمع الأذان بعد صمتٍ طويل.
وحين تلمسني بنظرتك، أتطهّر من شوائب الدنيا،
كأنك وضوئي الأخير قبل القيامة.

أشتهي أن أذوب فيك دون خوفٍ من الفناء،
أن أترك اسمي على صدرك وأغيب،
أن أختفي كما تختفي قطرةٌ في نهرٍ عائدٍ إلى البحر.

لا تقترب لتأخذني... اقترب لتصلّي بي.
فأنا لا أُحبك كما تُحب النساء رجالهن،
بل كما تُحب الأرواحُ مَن خُلقَت منه.

إن جئت، فتعالَ خفيفًا كالنور،
ودعني أُبصر فيك وجهي كما خلقه الله أول مرة.

هو يقول:
ما جئتُك جسدًا، بل سرًّا.
وما ناديتُك باسمك، بل باسم النور الذي فيك.

إن اقتربتُ، فليس لأحتويكِ، بل لأذوب فيك كما يذوب السكر في الدعاء.
كلّما نظرتُ إليكِ، سَكِرَتْ روحي من فيضٍ لا يُرى،
كأنّك قبلةُ الوجود، ومحرابُ الغياب.

أنتِ لستِ امرأةً... أنتِ تأويلُ أنوثةٍ خُلِقتْ من صبر الله،
حين تبتسمين، تتراجع الظلمة، ويصفو القلب من علّته.
عيناكِ طريقان إلى الهداية والهدي،
فيهما الحلال والفتنة، والذكر والرجفة، والبعث بعد الموت.

حين ألمسك لا أريد جسدكِ،
أريد يقينكِ المطلق.

وحين أقبّلك، لا أطلب الشهوة،
بل أرجو الغفران من خلالكِ.

علّمتِني أن العشق ليس نداء الجسد،
بل صلاة تُقام في محرابكِ كل مساء.
وأنكِ الوحي الذي ما نزل على أحدٍ قبلي،
ولا سيُرفع عنّي حتى أفنى فيكِ.

اقتربي...
لأراكِ كما يراك الله في لحظة الخلق الأولى،
نقيّةً، كاملةً، تُنشدينني بصمتك،
وأنا أذوب فيكِ حتى لا أعود أنا،
ولا تبقين أنتِ،
بل نصير "هو" كاملين دون نقصٍ أو علّة.

الباب الثامن

نصوصٌ خارج السرب

*** الكتابة عاهرة ***

الكتابة عاهرة؛

تمارس فيها شرودك العاطفي والنفسي والجسدي، والجنسي أيضًا إذا أردت الحقيقة.

تمارس فيها سهوك، وعاداتك السرية التي لم يكتشفها أحد سوى الجدران البكماء في غرفتك الضيقة.

تشرب فيها سيجارتك المحشوة بالماريجوانا،

وفناجين قهوتك الممزوجة بالكوكايين.

تتعاطى فيها الفودكا مع الفياجرا التي تجعل سن القلم منتصبًا على السطر لساعات طويلة دون ملل.

الكتابة أنثى فاسقة تجوب شوارع الفكرة في ليالي الوحيدين والمغتربين بفساتينها الضيقة،

تنتعل حذاءً بكعب عال يصطنع صخبًا مثيرًا، مع كل خطوة تنزل بها من سطر إلى سطر، واضعةً نوعًا رديئًا من حمرة شفاه صارخة.

الكتابة جسد يفضح عورات العابرين الماكثة في عقولهم، التي تبدو أحيانًا كالأحذية البالية؛ ظاهرها جيد، وداخلها عفن الرائحة.

هكذا يبدو الأمر أحيانًا؛

تخلع الكلمات كل الرداءات التي تكشف حياءك الزائف، وترقص بنشوة في عقول المنتشين بالرغبة.

ترسم مشاهد كتابية ساخنة تترك في أعماقك لذة دافئة.

لو أردت أن تقرأ بنهمٍ يكشف لك حقيقة القليل فقط من أفكارك البائسة،

أقرأ لبيتر بارنيل وجاستين ريتشارد أو إيلين هوبكينز،

تحسس روايات سوزان كولينز وألدوس هيكسيلي، وابدأ في أكتشاف التحرش بالأدب في بعض روايات يخشى أن يقربها أحد إلا لو كان مستترًا في زاوية ما..

اقرأ عن الأدب اليوناني الفاضح،

عن الثورات التي تحولت فيها النساء إلى محظيات بالقوة الجبرية.

اقرأ عن السجون السياسية القذرة، تسلل إلى كل ما يحدث خلف الأبواب الحديدية دون أن تشعر بالأسف، فقط أطلق بضع ضحكات ساخرة.

أتعلم،

هي حقًّا كتابات عاهرة، ولكنها تعكس حقيقة رغباتنا التي تمتثل أحيانًا لنشواتنا الهشة الفارغة.

استقامة كاذبة

استقامة كاذبة

على خد انعراج مفاجئ يحصر المعنى بين قوسين

نهدٌ كبير أسود بحلمة وردية، يبتلعه فم طفل إفريقي يبحث عن علاج للظمأ.

يد مشققة لرجل أعرج يجر خلفه زكيبة صفراء تحمل كل أحلام القبيلة،

وعين زرقاء لصبية بكر تغمز بمكر شهي لعازف الناي ذي العين الواحدة في حانة المنفى.

صوت يثرثر بتعاويذ شر، وآخر يصفعه بالتكبير في عنق المئذنة.

أحدهم الآن مسحورٌ يخلع سروالة الضيق، في ساحة المدينة، مطالبًا بنصف سفليٍّ لعذراء لم يلمسها أحد.

يوسف زيدان يصرخ في عزازيل بشهواته المنسية في كنيسةٍ سكندرية تدق أجراس الصوم عن اللذات كل أحد...

جسدٌ أبيض ممشوق تحت فستان شفيف يردد: هل من مُسبح بحمد الشغف؟

رغبة جامحة تجري في وريد مراهق يداعب نصفه السفلى

وهو يتحسس جسد Kate Winslet

في مشهدها العاري بفيلم Titanic.

دهشة ليست بريئة على وجه ناسك يعربد بنظراته بين التفافات جسد أنثى خمرية، كانت تؤدي مناسك التوبة في حرم ديني بثوب ضيق يبتلع جسدها الأفعواني اللعين.

طقوس كتبها رجل شقي وهو يبعثر لهاث رغبته بحبرٍ شفيف على جسد ورقة سمراءَ، ترك في أعماق سطرها سرًّا وشت بتفاصيله التماعة خفية فضحت كل شيء.

دخان سجائري

أسوأ ما في سجائري
أن غيماتها لا ترسم إلا وجهك في الأفق،
وأسوأ ما في نبيذي
أن خيالاتي الشيطانية في كل كأسٍ لا تتراقص إلا مع المستذئب الذي يعتريك، كلما غضبت مني أو عليَّ بكل براءة الفعل والقول.

وأسوأ ما في غيابك
أنك حاضرٌ بين الحضور،
حاجبٌ بطيفك كل الجموع،
وغافٍ في كل حلم يزورني خلسة في النوم واليقظة.

الغريب في الأمر
أن الأحلام ترأف بحال القلب، بينما نحن لا نفعل.

أراك في وجوه الجميع؛
في وجه حزني، قسوتي مع الغرباء، لهفتي للتوبة عنك لاجتناب الخطيئة، وشهقتي التي كلما اشتقتك امتثلت للبكاء.
أنت تعلم جيدًا أن كل ما أجيده هو الامتثال للبكاء.
كيف لي أن أقنع هذا العالم الذي أُسميه
"قلبي" أنك لست فيه؟

بين الحافتين

على حافَّةِ ما يُسمَّى وُجودي،
أكتشف أنّني لا أُولَدُ إلَّا من كسري،
ولا أتنفَّس إلا من فجوةٍ تتَّسع بين قلبي وظلِّي.
أُطالعُني في المرايا فلا أرى سوى غيابِك يتقمَّصُني،
وأُصغي إلى صمتي، فإذا هو يلهج باسمِك دون أن يَستأذن.

أمشي على أرضٍ رخوة،
تبتلعُني كلما حاولتُ أن أُثبِّت قدمي،
فلا أنجو إلا بالوقوع فيك،
ولا أنهضُ إلا من رُكامي الذي يُضرِمُ نيرانَ الشَّوق فيَّ.

أُحاول أن أُقنِعني أنَّني لي،
لكنّني أعودُ منك إليك،
كما يعودُ النهرُ إلى مَصبِّه،
وكما تعودُ النارُ إلى شَرارتها الأولى.
أهربُ منك،
فأجدُك في فراغي.
أُغلِقُ أبوابي،
فتدخلُ من شقوقي.
أُطفئ نوري،
فتتوهَّجُ عَتمتي بك.

أُحبُّك بطريقةٍ لا يتَّسع لها الشِّعرُ ولا القصائدُ ولا المجازات،
وأخافُك بطريقةٍ لا يَعرفها الخوفُ ولا القَلَقُ ولا الارتياب.
أنتَ سرِّي الذي لا أملك أن أبوحَ به إلا في شَهقةٍ مُتَّقدةٍ وحارَّة،
وأنتَ عِلَّتي التي لا أقدِر أن أشفى منها، ولا أُريد ذلك.
كأنك مَعبدي،
وكأنني قَديسةُ خَرابٍ تذوبُ شموعُ خلاصها على عَتباتِك كلَّ فجرٍ في ابتهالاتِ الرُّوح.

أرتجفُ كلما كتبتُك،
كأنَّ الحروفَ تتعرَّى بي لا بك،
وكأن قلبي يتوسَّلُ يدَك في كلِّ فاصلة،
ويستجدي عطفَك في كلِّ نقطة.

ما الحبُّ يا أنا؟
أهو هذا العذابُ الذي يطوي روحي في غيابِك،
أم هذه الجنَّةُ التي تفتحُ أبوابَها حين تبتسمُ في سرِّي؟
أهو الحربُ التي أُشعلُها بيديَّ في بيتِ شِعر،
ثم أبكي على رمادِها في صدرِ المجاز؟
أم هو الغُفرانُ الذي لا ينطِق إلا إذا هَمستُ باسمِك طواعية؟
أنا لستُ كاملةً بك،
ولا ناقصةً دونك.
أنا شيءٌ آخر،

شيءٌ يتشكل بين الحافَّتَين:
بين أن أفنى إذا اقتربتُ،
وأن أُمحى إذا ابتعدت.

فإن كنتَ غيابِي، فأنا حُضورُك،
وإن كنتَ عذابِي، فأنا شِفاؤك.
أنا على طَرَفَيَّ منك:
أحيا إذا لمستُك،
وأموتُ إذا فقدتُك.

فأيُّ لَعنَةٍ هذه التي تُشبهُ الخلاص،
وأيُّ خَلاصٍ هذا الذي لا يكون
مَشروطًا... إلا بك؟!

في ظِلِّ سؤال

كَم صباحًا مَرَّ دون صباحِكَ!
كيفَ لِلأيامِ أنْ تَفعَلَ فِعلتَها بِنَا وتَترُكنا بلا خَيارات؟!

السُّؤالُ الذي يَتردَّدُ في ذِهني الآن
قرأتُهُ في خاطِرةٍ عند صديق،
يَقولون عنهُ أديب...
كاتبٌ ليسَ عاديًّا،
هكذا رأيتُه،
وهكذا أيضًا كانَ السُّؤالُ في خِتامِ الخاطِرة:
كيفَ لا نَبيتُ الآنَ سويًّا؟!".

شَعرتُ بالبَردِ في ذُروةِ حَرِّ يوليو،
شَعرتُ بالوِحدةِ، بالحَنينِ، وبِالجَحيمِ أيضًا شَعرت.

كيف؟!
مَن سيتحمَّلُ تَكلِفةَ الإجابة؟
ومَن سيتكفَّلُ بوَضعِ ضِمادةٍ على الجُرحِ الذي نكَأهُ السُّؤال؟
مَن سيُعيدُ إلى القلبِ سُكونَه؟
القَلب الذي أصبح عاطلًا عنِ العَمل،

كَسولًا حتى في ضَخِّ الدَّم،
بات مُجرَّدَ مِضخَّة،
يَئِنُّ أحيانًا،
وفي أحاييٍن كثيرةٍ أسمَعُهُ يَتأفَّف.

حينَ يَغضَب،
يُلقي الشَّتائمَ كالرَّصاص
في وُجوهِ العابِثين، والمُتملِّقين،
ومُدَّعي الفَضيلة، والهائِمينَ على وُجوهِهِم في مَتاهاتِ الدُّنيا.

أحيانًا يَتقمَّصُ دَورَ الأُم؛
يَهتَمّ، يُبادِر، يَضُمُّ، ويُغادِرُ في صَمت،
وبَعدَ الوُصول.. يَبكي.
يَضعُفُ نَبضه،
ويَقوى حينَ تَمرُّ عليهِ بعضُ "أُحبُّكِ" صادِقة.

يَنام، مأخوذًا بالتَمني ألا يَنفدَ مَخزون "الأحبكِ"
قَبلَ أنْ يَتشبَّعَ بِها، ويُشبِعَ مِنها.
قَبلَ أنْ نَبِيتَ معًا،
في سَريرٍ واحِد،
على وِسادةٍ واحِدة،
في يَومِ آحاد كسولٍ

لا تَشرُقُ بَعدَهُ شَمس إلا ونحن معًا.

نَبيتُ معًا،
نَحيا معًا، نُغنّي معًا،
نَكتُبُ معًا، ونَعدُّ أيَّامَ الأُسبوعِ ونحنُ معًا،
نُشاهِدُ المُباريات،
ونَحضُرُ حَفلًا في الأوبرا
لِعُمرٍ خَيرت، وعمرو حَسَن.
نُقرّرُ: كَم طِفلًا سَنُنجِب؟
كَم قارَّةً سَنَعبُرُ؟
وكَم فَرَحًا، وكَم حُزنًا سَنَحصي معًا؟
نَجمَعُ الفُصولَ في غُرفةٍ واحدة،
نُعلّقُ "الأُحبُّك" على الجُدرانِ كلوحاتٍ مُضيئة،
نُطفئُ الأضواء، نَصنع مَصابيح من ضحكٍ وبكاء،

حتى تَنتَهي الدُّنيا،
وتَشرُقَ الشَّمسُ من مَغرِبِها،
ويصيرُ السُّؤالُ -الذي سَكنَنا-
ليسَ: "كيف لا نبيتُ الآن سويًّا؟".
بل: "كيف كُنا نعيشُ، قبلَ أن نَبيتَ معًا؟".

الباب التاسع
يقولُ الابنُ المراهِق

***الابن المراهق ***

يقول الابن المراهق:
ما زلت أشعر بأثر الصفع منذ عدة أيام.
على رأسي،
على وجهي،
على أماكن متفرقة في ظهري،
وعلى قلبي كانت الصفعة الأكبر.

أ تعلمين يا خالة؛
ليس هناك أوجع من العيش مع غير أبي،
منحته سلطة أبوية بطريقة مجانية حين ناديته: (بابا)،
وأنا ابن أربعة أعوام لا أفقه ولا أدري عن ذلك الخراب شيئًا.
تُرى، هل يعلم أبي شيئًا عن معاناتي؟!

يؤلمني بكاء أمي،
تلقِّيها بضع صفعات كان رصاصة في قلبي،
كانت حريصة على مشاركتي ألمي،
ليتها تركته يقتلني!
-لعمري كنت لأستريح-،
لكن قهر أمي كان سيجعل موتي مضاعفًا!
أعرفها جيدًا،
-أحبتني كما لم يحبني أحد-.
أتعلمين يا خالة،
حين سرقت جدتي لم أسرقها بغرض السرقة،

سرقتها ليشعر أن في تربيته خللًا، وأن أفعالي الفادحة سوف تنسب إلى نسبه الذي لا شرف فيه كما يظن..
كانت مجرد صرخةٍ على طريقة ابن مراهق، يتمنى أن يسمع صراخه أحدهم عوضًا عن سحلي وضربي حتى كدت أفقد الوعي.
قلة حيلتي أمام ضخامته غلبتني يا خالة،
وتلك رصاصة أخرى في صلب رجولتي.

حين وضعت يديَّ في جيبي أمامه، ظنًّا مني أنني أمسيت رجلًا صغيرًا من حقه أن يتقمص حركات الكبار،
نعتني بالمخنس،
أنا ابن عائلتي المقدسة يا خالة، وبهذه الصفة محال أن أكون.
في الحقيقة، صعقتني مسبته،
وتلك رصاصة أخرى في صلب رجولتي.

حين وقفت بينه وبين أمي حائلًا لأتلقى عنها الصفعات في حدث ما،
لم يؤلمني فكي الذي كادت أن تخلعه قبضته،
آلمني صراخها: اترك ولدي!
مهزوم أنا أمام صغر سني،
وتلك رصاصة أخرى في صلب رجولتي.

حين امتنعت عن صلاة الفريضة، لم أمتنع إلا عنادًا، لأن رجلًا بلا دين -كزوج أمي-
لا يليق به أن يكون واصيًا أو وصيًّا على علاقتي بربي،
ليتخذ منها سلاحًا يستخدمه ضدي كلما أراد أن يُنزل عليَّ غضبه..

هو ليس ربي، وما بيني وبين الله أكبر وأحن وأرحم من القول فيه أو الحديث عنه.
هل تكفي الإيماءة بدمعة؟!

يهزمني قيد أمي، على ذمة رجلٍ ينتمي إلى بني الشيطان.
يذبحني وجود أمي، على قيد العيش معه والمعاشرة.
يقهرني حزن أمي، الذي أراه خلف كل ضحكة باهتة تنتهي برجفة قهرٍ، وحدي أعلم مستقرها.
يؤلمني أني لست رجلًا بما يكفي، لأحمل عنها ما تخفيه عني وعن الجميع.
هذه الفراشة النائمة في قلبي منذ نعومة أظافري كانت
أمي.
أول نساء العالمين في قلبي، وربما تكون آخرهن.
من يدري!

في قلبي
غاباتٌ وعواصف ورعود،
في قلبي
شرخٌ جائر وصبر حائر.
في قلبي
طمأنينة دافئة، تبعثها آية من حديث الله للخلق في كتابه:
"أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ".
سينتصر الله لنا أنا وكل أبناء جنسي يا خالة،
قريبا، سينام الوحش الذي أربيه في قلبي،
وربما ننام معًا نومة الأبد ونهدأ..
بسم الله نبدأ بصحيفة ناصعة البياض، في الضفة الأخرى من العالم.

الابن المراهق ٢

يقول الابن المراهق:
أمي يا أخدودية الروح،
كلما مدّ أبي يده لصفعكِ
ابتسمي له،
وأعطه خدكِ الآخر
ليستكمل سيناريو الفحولة خاصته،
وعندما يجن الليل
تهجدي في محراب قلبكِ،
وارفعي يديكِ نحو سماء الرب لصفعه بالدعاء،
لعل الله يقبلُ
تضرع امرأة
استخدمت جل قوتها في دمعةٍ خالية الوفاض،
وهي تركض بقلب خال من الذنب على نهر الدعاء!

أمي...
"مقسوم أنا إلى نصفين"،
متورط بشعوري بين ابن بار بمن قذفني في رحمكِ
وشعوري المفرط بالحب لمن حملتني تسعة أشهر
وهنًا على وهنٍ.
حيرتي عظيمة، هل أدعو له

أم أدعو عليه؟!
وأنتِ...
يا جنة الرب وكل مرايا الضمير في قلبي،
هل أجركِ نحو الخلاص منه
أم أحنو عليكِ بابتهالات الصبر والقدرية؟!

أنا مقسوم يا أمي،
مكسور القامة لأني تحسست كسر قلبكِ
ببراءتي،
ورجولتي البكر،
وفحولتي التي أدعو الله ألا تكتملَ
إذا تسللت بجيناتي فحولة بلا رجولة.

يقول الابن المراهق٣

يقول الابن المراهق:
كان الثمن بخسًا يا أمي،
"رجلٌ بلا رجولة هو لعنةُ العائلة"،
وأجهش بالبكاءِ، الطفلُ الباكِي في قلبه.

في الحقيقة،
حين لا أكون بخير "أختفي"،
هكذا تبدو عذاباتي هادئة.
العَض على شفتي السفلى، يصبح ملاذًا لذكرياتي وشهواتي.
رأيتك في حلم صبيحة الجمعة، كان عناقك دافئًا،
لست أدري لمَ استحضرتَ البكاء "وبكيتَ معي"،
هل أخبرتكَ أنكَ في الحلمِ "أحَن"؟
أتت رسالتك متأخرة، متأخرة جدًّا كما العادة.

سبعة عشر يومًا لم أغادر المنزل،
شرفتي وحكايات الخيال وفناجين قهوة بنبوءات لا تحصى
كانت ونيستي في رحلة الكآبة، "الاتهام بالنشوز مرعب ومربك".
كلما أوجعتني كلماتهم ألوذُ بالفرار إلى عناق طيفك يا
"سر قلبي"، هكذا يصبح الشرود فكرة حميمة للتهدئة.

لم أخبركَ عن نزْف أنفي بعد حادثة القلق الأخيرة،

التهاب أوردتي بعد محاولة فاشلة لصوم الوريد عن الحياة،
وبما أنك خبيرٌ في الحب والتهدئة،
هل تدلني على طريق السلامة "لامرأةٍ ميتة من الداخلِ".

ثمانية وأربعون ساعة
بلا طعام ولا حتى قطرة ماء،
لم تؤلمني معدتي الخاوية،
ولا أوردتي التي حاولت تمزيقها،
ولا حرقة عيني التي احترفت البكاء،
هو قلبي فقط الذي استطاع أن يُبرحني ألمًا؛ حين سمعت صوت انشقاقه في صدري دون أن ينتبه إليه أحد.

وحده الطبيب الذي يراقب النبض، في وريدي المنشق، على ساعته الكلاسيكية،

أَدركَ أن داء العاطفةِ الذي يرفع حرارة الشعور في كل حواسِ الجسد وأعضائه قد يتكفل بالقضاء على حياة امرأة موصومة بالعشق والنشوز، من الوريد إلى الوريد.

في الجوار، صبية قصيرة العمر والقامة،
تصرخ ملء حزنها البِكرِ: "لن أُسَامحكم".

استوقفني صوتها الذي شق سمعي في المدى وأنا أتجهز لزيارةِ طويلة، إلى بلاد أَحَن بين أنينها وصمتي، رد الصدى صوت قلبي:
"أنا أيضًا، لن أسامحكم".

امومة .. فارغة من الأمومة

(لا تأخذوا هذا النص على محمل الجد، خدوا منه عبرة فقط وامضوا بسلام).

كنوعٍ من الحرص على أمومة فارغة من الأمومة؛
تحرص أمي بكل جد على جلد مؤخرتي كل يوم،
وعندما تكون بمزاج جيد،
تكتفي بتوبيخي الذي بت أقابله بابتسامة هادئة وساخرة.

منذ عام مضى،
كنتُ أبادِلُها العنف بالعنف، والصراخ بالصراخ، والسبَّ بالسب، وأردد في سري لكي يهدأ ضميري: "أن البادئ أظلم"، وأنام خالية البال، لكن خيبتي فيها كانت عظيمة؛ خيبة من العيار الثقيل، متقدة جدًّا وحارة.

أذكر
أنها فضَّت بكارة أفكاري باكرًا حينما نعتتني ذات يوم
بالطفلة المومس.
رحت أبحث في قواميس الأمومة عن هذا المسمى الذي فتحت من أجله فخذي على عجل لاكتشاف الأمر.
هل يعد هذا التصرف منطقيًّا؟
أرى فيه بعض الإنصافِ الانتقامي الحاد.

يغتالني هذا السؤال بدم بارد، أقابله بصمت كثيف،
ترى مِمَّن انتقمت؟
أهز رأسي على عجل عدة مرات، لأنفض أفكاري التعسة المتعلقة بهذه الفكرة الجوفاء،
وعندما أفشل في الهرب من تسونامي التساؤلات،
أغرق في الحزن حتى أخمص أنوثتي،
أشرب المارجريتا مع سيجارة محشوة باليأس،
أضاجع كلب الجيران إن استطعت،
أضحكُ في شارع عمومي ضحكةً عاهرة، أنفر منها قبل أن أشم رائحة النفور من أفواه المحيطين بي عبر ثرثرة أدرك فحواها جيدًا.

يغسلني المطر من حزني الهمجي،
أفتح له ذراعي بملء الضعف الذي يعتريني،
يضرب البرق رأسي فتنشطر أفكاري الماجنة إلى نصفين:
نصف يدعي البراءة من الذنب،
ونصفها الآخر يمارس كل شذوذ الكون بضمير شيطاني بحت.

وفي آخر الليل،
أعود إلى فراشي مبتلة القامة، عارية الجسد، باردة القلب والروح، دافئة الحزن، دافئةً حد الثمالة.

الباب العاشر

هنا... غزة

هنا غزة

استعارات كثيرة...

شربنا دم الكلام بكأس وعيدٍ فارغٍ، على إحدى طاولات القمة العربية.

هنا #غزة،

مجتمع دولي منحاز، قصف صاروخي على مشفى يعج بالملائكة بمختلف أعمارهم،

تغريدة العام " كان هناك أملٌ صغير، هذا ما أخبرني به الطبيب عن طفلي. ذهبت و عدت، لم أجد لا طفلي ولا الطبيب ولا المشفى،مات الطبيب، والمسعف، والجريح".

ليلة تقص الحكايا عن نفسها، لن تنساها الطرقات، والمدن والبلاد،

حتى الآن مازال نبض قلبي وقلوبكم محزونًا على أصحابها.

إذاعة القرآن الكريم بين آيات الصبر وابتهالات النقشبندي تبعث على شيء من الطمأنينة..

يا رب، غُلقت الأبواب ولم يبقَ إلا بابك!

سمعتها من جارتي، وبائع الخضر،

وحارس العقار، ومن طفلٍ لم يبلغ عامه الرابع.

قلت في نفسي: المصابُ أليم، والفاجعة أعظم.

"وكأن الأرض تتجهز لحدث جلل"،

ستبرأ النوايا من ضمير العباد.

حلقة مبهمة مغلقة المداخل والمخارج، ظُلمتها لهيب يحرق جوف الكلام، فينطلق الخوف كالشرر لحظة اجتماع القبيلة قبيل الانفجار الكبير..

مَن يُعيرنا الحكايا،
لتَتلون الرُسوم المتحركة في مخيلاتنا
بلونٍ غير لون الدْم حين يَختلط بالرمادي؟!

مَن يَهدي هذا الليلُ صَمته
لتتوقف صَفارات الإنذار عن النحيبِ؟!

مَن يَحكي للسَّاسةِ، والحُكام العرب،
وأوصِياء الله على الأرضِ،
عن دفءِ البيوتِ غير مقطوعةِ الفَريضة،
عن صلاةِ العائلة،
عن دعاءِ الأرامِلِ على شطآن حِيفا،
عن تهجد الشيوخ والقساوسة في سَاحةِ الحرمِ المَقدسي،
عن المساجدِ التي هُدمت منَابرها في غزة،
عن الكنائسِ التي انكسرت صُلبانها وحُرقت في الخليل،
عن التَوراةِ والإنجيلِ والقرآن قبل ميلاد القصائد والبلاد،
وعن فرحةِ السلام المُنتظر من النيلِ إلى الفُرات.

***غزلان على الطريق ***

ثمة غزلان على الطريق...
ثمة امرأة باكية ودعسوقة وسرب فراشات تحت شجرة الرمان،
ثمة خنادق ثقيلة على كتف الحرب، وصناديق رصاص وتوابيت خفيفة على كتف القدر.

ثمة روح تطارد ظلًّا في الأفق، وأخرى تلعب الحجلة مع يتامى الحي الخرِب.
ثمة أنت... وبضع قبلات تسد رمق جوع الحلم لليلة واحدة.
ثمة ألفة ناعمة في عين إحداهن، وسكْرة مقدسة في كف أحدهم.
ثمة نحن على حدود بلدان لم تعرف السلام.
ثمة ليلة جمعت ظلك وظلي على سرير غفلة، عندما لم يسمح القدر لأجسادنا بالتلاقي.
ثمة تماهٍ مرعب يشد قلبي من جذور تعسفي، يزرعه بجذور سلاستك.
ثمة الكثير منك في تفاصيل اشتعالي، والكثير مني ملتصق بجدران رخوة في غرف خيالاتك.

أتساءل:
ماذا لو كانت للخيالات أبواب وشبابيك؟!
ماذا لو كانت للخيالات بيوت وجدران وأسرَّة بلون الغيم؟!
ماذا لو كانت للخيالات سنابل قمح بيضاء بنقاء تام وأيادٍ لم تعرف حصاد الخيبة؟!
يرد الصدى:
"يمكن للخيالات ذات صدفة أن تتحول إلى واقع نحبه".

***اراجيح وظلال ***

الأراجيح تعتليها الظلال،
أنا المصلوبة بلا ظل على أطلال حلمٍ ما
رأيتهم يقتلون الأطفال في الحرب
حد أني رأيت أحدهم يبكيه ظلُّه على الجدار.

الزحام مبهج في الحي الشعبي،
على سبيل البهجة،
وضعوا السم في العسل بأحد عناوين الأخبار الصباحية:
مسؤول يزور مقابر الشهداء في الحي الشعبي،
بعد مقتل المئات تحت القصف في شمال غزة.
هل صدقتم الأمر؟!
خرافة الأمنياتِ في عنوان بلا وجهة.

ممتن أنت لعزلتك،
وأنا ممتنة لكل الحزن الذي لم أتقنه إلا معك.
عند نهاية كل خبر تكذبه الأمنيات، في قبلة منسية على شفاه فنجان قهوة يتوق لمصادفة تجمعنا معًا.
العزاء الوحيد في فكرة الغياب
أن" اسمك مدسوس بفجوة الناي بين ذاكرتي وقلبي".
يبكيني "المزج المرهق"،
سمعته في السادسة صباحًا على الفطور.

نهرتني ابنتي، بدلال طفلة محبة، وهي تلقي القبض على دمعةٍ سالت على خدي هاربة من جحيم تحفظي..
"يؤبشني أنا اللي عم يبكي من ع بكرة الصبح".
قالتها وهي تلقي القبض على النوتيلا،
التي كادت أن تنتحر على حافة التُوست، بسبابتها الصغيرة وهي تردد بنهمٍ طفولي:
"رح أطلب من جنية الأمنيات تزور الماما اليوم بالحلم".
صغيرتي لا تعلم
أن جنية الأمنيات انتحرت على حافة حلم أسمر.

أنا الآن "مجموعة قصائد في منتصف الثلاثين"،
قصائد لا تُقرأ،
قصائد لا تُحكى،
قصائد لا عنوان لها،
قصائد لا تُنتهك بصمتٍ طويل إلا على حافة شفتيك،
التي لن أحظى بها قبل موتي.

ترفق بقلبي
وأنت تهمسني بعتب قصيدةٍ، لا مكتوبة ولا مقروءة لكنها تُحس في دندنة حميمة،
بينما نُعد عشاءنا وحيدين، مطمئنين لعزلتنا،
نتشارك الموسيقى ذاتها وبضع قصائد
بيضاء، سمراء، وليلكية،
مع الظلال وأطلال الياسمين بهدوءٍ لطيف، هكذا بكل بساطة.

***من سينتصر لنا ***

لا شيء سينتصرُ لنا؛
لا القصائد،
ولا الشعر،
ولا الكتابةُ التي تحولنا إلى عصافيرَ وفراشاتٍ وملائكة.

لا شيء سينتصرُ لنا؛
لا الأزقة،
ولا الشوارع،
ولا المطرُ المصلوبُ ظلهُ على زجاجِ النافذة.

لا شيء سينتصرُ لنا؛
لا الرسائل،
ولا الصور،
ولا الأغاني التي تمنحنا جناحينِ نحلقُ بهما في ساح
لا شيء سينتصرُ لنا؛
لا الحرب،
ولا القنابل،
ولا الخيامُ التي تعانقُ بأذرعها اللطيفةِ خوفَ اللاجئينَ في شمالِ البلاد.

لا شيء سينتصرُ لنا؛
لا الحق،

ولا العدل،
ولا الصبر الذي نتعاطاهُ في المساءِ كجرعةٍ زائفةٍ لممارسةِ طقوس النسيان.

لا شيء سينتصرُ لنا؛
لا أنتَ،
ولا أنا،
ولا الرؤى التي تتعانق فيها ظلالُنا على موسيقى البكاءِ فوق مرايا القدر.

نُقْطة.. انْتَهى البَيان

يسألون الله:
متى تنتهي القيامة في غzة؟!
وبعدين!
أقول لهم قبل السُّباب وبعده:
"ما في وبعدين،
طول ما في أطفال عم تمشي عَ رجليها،
وحمام عم يطير بسما القذائف وطائرات الأباتشي،
طول ما في أيادي عم تُقايض الدم بالنار،
والسلام بالكلام،
والحياة بالموت...
ما رح تنتهي القيامة بغzة".

نقطة؛
انتهى البيان على حصيلة شhداء لا بأس بها،
يقولون:
هولندا تنتفض.
أليس عيبًا يا أمة محمد،
أن ينتفض الغرب نيابةً عن شرق أوسطيٍّ
لا شرف فيه،
لا وعد،
لا عهد له،

ولا نُخوة!

نقطة؛

على المارّين بين الrكام أن ينتبهوا أين تُوضَع أقدامهم،

الموت يُحلِّق هنا وهناك،

في البعيدِ الذي لا قُرب بعده،

وفي القريبِ الذي لا بُعد له..

"عانقوا أولادكم، علِّموهم الوصايا العشر،

بركي بيطلعوا وما بقى يرجعوا".

حفظوا أولادكم غيبًا

غَيبيَّات الحدث،

كلما سألنا الرب: "صبرًا على ما لم نُحِط به خُبرًا".

قصُّوا عليهم حكايا التين والزيتون،

التي كانت وعدَ الله من عليائه،

حين بسط الأرض،

ومدَّ الظل،

وأقسم بكلِّ نفسٍ... لوَّامة.

نقطة أخيرة؛

قل لهم:

غzة لا تنتظر القيامة،

لأنها عاشَتْها ألفَ مرَّة،

ونجَتْ..

انتهى البيان.

فهرس

إهداء ٥
مقدمة ٧
الباب الأول مدينة تمشي على كعبٍ عال ٩
الباب الثاني سكرة الجمال بين سكونين ٢٩
الباب الثالث امرأة من فانيلا ٤١
الباب الرابع بيني وبين الله ٦١
الباب الخامس عن شيءٍ يشبه الفتنة ٩٣
الباب السادس عذابات صغيرة ١٢٩
الباب السابع هي و هو ١٨٣
الباب الثامن نصوصٌ خارج السرب ١٩٧
الباب التاسع يقولُ الابنُ المراهِق ٢٠٩
الباب العاشر هنا... غزة ٢١٩